أولًا: التعريف بالقيم الإسلامية، ومصادرها.

أولًا: مفهوم القيم الإسلامية في اللغة والاصطلاح.

تعريف القيم في اللغة:

القيم جمع ومفردها قيمة، كسدر مفرده سدرة، وتأتي القيمة في اللغة علىٰ عدة معان منها:

- **مقدار الشيء ووزنه وثمنه**، يقال كتاب قيّم أي ذو قيمة وقدر، والأمة القيّمة: المستقيمة المعتدلة، وقوّمت المتاع: أي جعلت له قيمة. وقيمة الشيء. قدره، وقيمة المتاع ثمنه... ويقال: ما لفلان قيمة، ما له ثبات ودوام علىٰ الأمر[1].

هذه الجملة يتناسب مع النقطة التي بعدها وهي الثبات والدوام

- **الدوام والثبات والاستمرار:** وهو ما يشير إليه أصل الفعل (قوم) وأقام الشيء أدامة... وهو من الثبات والدوام علىٰ الأمر[2].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٠ - ٣١].

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفىٰ آخرون، (٢/ ٧٦٨)

(٢) أساس البلاغة، محمود بن عمرو الزمخشري، (١/ ١١٢).

Scanned with CamScanner

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ ﷺ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، فَقَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ»»[1].

فالاستقامة في النصين السابقين، يراد بها الثبات والدوام على الإيمان وخصال الإسلام[2].

- **الاستقامة والاعتدال**: الدين القيم: أي المستقيم المعتدل الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق، فهو وسط بين الغلو والتّنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٧].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (الاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدِّين القيِّم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة؛ ويشمل ذلك فعل الطاعات كلّها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلّها كذلك)[3].

وأمرٌ قيّم: مستقيم، وخلق قيّم: حسن، ودين قيّم: مستقيم لا زيغ فيه ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥] أراد الملة الحنيفية[4].

ومما سبق يتضح أن لفظ القيمة تدور حول المعاني الآتية: المقدار والثمن،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام (١/ ٦٥).

(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ٧٤٨، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي ٢/ ٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٠٥.

(٤) تاج العروس، للزبيدي، (١٧/ ٥٩٧).

Scanned with CamScanner

والاستقامة والاعتدال، والثبات والدوام.

تعريف القيم في الاصطلاح:

لكل فن من الفنون قيمته ومبدؤه، فهناك القيم الاقتصادية، والقيم السياسة، والقيم الاجتماعية، وغير ذلك، وهذا يعود إلىٰ أن كلمة (قيم) تدخل في جميع المجالات. وفي الحقيقة أن القيم في فلسفتها تعد جزءا من الأخلاق، -أي: أخلاق ذلك الفن-.

وبالنظر إلىٰ هذه التعاريف نجد كلًا منها يشير إلىٰ جانب من جوانب القيم.

فمنهم من عرّف القيم باعتباره جملة من التصورات والإدراكات، توجب اعتدال تصرف الإنسان، فقيل هي: (تصور وتقييم ما ينبغي أن يكون عليه السلوك، متمشية في ذلك مع مُثُل أعلىٰ أو مبدأ أساسي تخضع له التصرفات الإنسانية، ويكون مؤازرًا للجانب الخيّرِ في الطبيعة البشرية)[1].

ومنهم من جعل القيّم مقاييس وموازين تحاكم من خلالها الأفكار والتصرفات، فقيل هي: (مقاييس تحكم بها علىٰ الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية، من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها)[2].

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ١/ ٦٣.

(٢) القيم وطرق تعلُّمها وتعليمها- دراسة مقدمة إلىٰ مؤتمر كلية التربية والفنون تحت عنوان: «القيم والتربية في عالم متغير»، والمنعقد في جامعة اليرموك في الفترة من ٢٧-٢٩/ ٧/ ١٩٩٩م إربد، الأردن - إعداد: الدكتور/ فؤاد علي العاجز، الأستاذ/ عطيه العمري، الأستاذ المساعد بكلية التربية، مساعد باحث الجامعة الإسلامية - غزة. ص٤-٦.

Scanned with CamScanner

ومنهم من نظر إلىٰ أثر القيم باعتبارها أحد مقومات السلوك الاجتماعي، فعرَّفت بأنها: (مجموعة القواعد السلوكية التي تحدد السلوك الإنساني وتنظمه، وينبغي أن يحتذيها الإنسان فكرًا وسلوكًا في مواجهة المشكلات الاجتماعية والمواقف الخلقية المختلفة، والتي تبرز المغزىٰ الاجتماعي لسلوكه بما يتفق وطبيعة الآداب والقيم الاجتماعية السائدة)[1].

- **أما القيم الإسلاميّة** -وهي محور بحثنا ودراستنا- فقد أضافت إلىٰ ما سبق من التعاريف المصادر التي تستقىٰ منها القيم، فقيل: (القيم الإسلامية هي القيم المستمدة من الدّين الإسلامي الحنيف الذي يعتبر (الحسن) هو ما وافق شرع الله واستوجب الثواب في الآخرة، ويعتبر (القبيح) هو ما خالف شرع الله ويترتب عليه العقاب في الآخرة)[2].

وفي نظري أن التعاريف السابقة كلها قاصرة عن إدراك كنه وماهية القيم الإسلامية خاصة، والقيم عامّة.

وللاهتداء إلىٰ تعريف جامع مانع كاشف للقيم الإسلامية، لا بدّ أن يتضمّن التعريف أركان القيم، وهي:

مادة القيم: والتي ترجع إلىٰ الأخلاق الفاضلة.

ومصادر القيم: وهو الوحي، والعرف والعقل المؤيّد لهما.

---

(١) دراسة لبعض المشكلات التي تعوق الوظيفة الخلقية للمدرسة الثانوية ص٢٢، نقلًا عن كتاب نضرة النعيم ١/ ٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٣.

Scanned with CamScanner

ومجالات القيم: وهي المجالات الإيمانية، والسلوكية، والاجتماعية

وعليه يمكن صياغة تعريف جامع للقيم الإسلامية فيقال هي: «**مجموعة القواعد الأخلاقية المستمدة من الكتاب والسنة والموافقة للفطرة، التي تؤدي إلى اعتدال وثبات المرء في إيمانه ودينه وسلوكه**».

Scanned with CamScanner

ثانياً: مصادر القيم الإسلامية

أولاً: القرآن الكريم:

القرآن هو كلام الله حقيقة، بحرف وصوت، وليس بمخلوق، المنزّل على رسوله محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس، المنقول إلينا نقلًا متواترًا، والمتعبد بتلاوته، المعجز بسورة منه، من الله بدأ وإليه يعود(١).

- مصدرية القرآن للقيم الإسلامية:

لا شكّ أنّ القرآن الكريم أعظم مصدر للقيم الإسلامية، ومن دلائل هذه المصدرية ما يأتي:

أ- أنّ من أبرز خصائص هذا الدين ومصدره المتين وهو القرآن العظيم، هو الاستقامة، فهو مستقيم معتدل في ذاته، ومقوّم لغيره، وبالتالي فالقيم الإسلامية تستمد ثباتها واعتدالها من خلال نصوص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦١](٢).

ب- أنّ القرآن الكريم هو مصدر المعارف بأنواعها، فما من علم وفضل فيه

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني (١/ ٨٥)، متن الطحاوية مع تحقيق وتعليق الألباني (ص٤٠).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي ١٤/ ١٩٠، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي ٢/ ٣٦٩.

Scanned with CamScanner

خير للعباد في حياتهم ومعادهم إلاّ وقد بينه القرآن الكريم، إما علىٰ سبيل الإجمال أو التفصيل، أو الإحالة إلىٰ ما يوجب العلم، قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل: ٨٩][1].

ج- إنّ الناظر في القرآن الكريم يجد الكثرة الكاثرة من الأخلاق الفاضلة، ومن أمثلتها:

١- **الدعوة إلىٰ خُلُقَيْ الأمانة والعدل.** قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥٨].

٢- **الدعوة إلىٰ خُلُقَيْ الحياء والاستئذان.** قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور: ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

---

(١) قال ابن الجوزي: «فأما قوله تعالىٰ: (لكل شيء): فقال العلماء بالمعاني: يعني: لكل شيء من أمور الدين، إما بالنص عليه، أو بالإحالة علىٰ ما يوجب العلم، مثل بيان رسول الله ﷺ أو إجماع المسلمين»، زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٥٧٨.

Scanned with CamScanner

وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٣].

٣- **الدعوة إلىٰ خلق الشكر لله** قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٧].

٤- **الدّعوة إلىٰ عدم الخوض فيما لا علم للإنسان به، قال الله تعالىٰ:** ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦].

٥- **الدعوة إلىٰ القول الحق عند المصائب، قال الله تعالىٰ:** ﴿الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٦] تقال عند المصيبة قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: (لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعطه الأنبياء قبلهم، وهو: قوله ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ ولو أعطيه الأنبياء، لأعطيه يعقوب إذ يقول: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [سورة يوسف: ٨٤][1].

٦- **الدعوة إلىٰ مجموعة أخلاق وعبادات من تمسك بها نال الفردوس الأعلىٰ من الجنة.** قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١-٢]. **إلىٰ قوله تعالىٰ:** ﴿الَّذِينَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٦)، وابن أبي حاتم في التفسير (١/ ٢٦٥)، وذكره الذهبي في الكبائر، ص ١٩٥.

Scanned with CamScanner

يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١ - ١١].

٧- **النهي عن البخل وبيان عاقبته**، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٠].

وقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٨].

فأردف الله النهي عن البخل بذكر مآل البخلاء المانعين حق الله في المال، المعرضين عن أداء الزكاة الواجبة، متوعّدًا إياهم بتعذيبهم بأموالهم التي بخلوا بها في الدنيا، والجزاء من جنس العمل، فالعبد إذا سمع هذا الوعيد وعَلِمَ أنّ مَالَهُ سيكون عليه حسرة يوم القيامة، ارعوىٰ وانزجر، وفي هذا أبلغ العظة للبخلاء[1].

٨- **الأمر بالطاعة والنهي عن الفحشاء والمنكر**. قال تعالىٰ في النهي عن العصيان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠]

٩- **النهي عن مجموعة أخلاق سيئة**. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢/ ١١٥.

Scanned with CamScanner

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة المائدة: ٩٠]

١٠-الجرأة علىٰ الكذب والافتراء علىٰ الله: فقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣].

وغيرها من الآيات الآمرة بالامتثال والتخلق بالأخلاق الكريمة، والناهية عن التخلق بكلّ خلق ذميم.

ثانياً: السنة النبوية

السنّة هي: (ما أثر عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته)[1].

وسنة النبي ﷺ التي علينا الاقتداء بها هي ما صدر عنه ﷺ علىٰ وجه التعبد، ولم تكن من الطبيعة البشرة أو من قبيل العادات الخاصة بمجتمعه وعصره.

- مصدرية السنّة النبويّة للقيم الإسلامية:

مما يدل علىٰ أن السنة من أعظم مصادر القيم الإسلامية ما يأتي:

١ - أنّ السنة هي صنو القرآن في تعاليمه ونظمه وأسسه وقيمه، لا غناء للعبد عنها ألبتة، قال ﷺ: **«أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، قَدْ يَظُنُّ أَنَّ اللهَ لَمْ يُحَرِّمْ شَيْئًا إِلَّا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ، أَلَا وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ وَعَظْتُ، وَأَمَرْتُ،**

(١) انظر فتح المغيث للسخاوي (١/ ٦) بواسطة تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلىٰ نهاية القرن التاسع الهجري (ص: ١٦). شرح الكوكب المنير لابن النجار ٢/ ١٦٠.

Scanned with CamScanner

وَنَهَيْتُ، عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا لَمِثْلُ الْقُرْآنِ، أَوْ أَكْثَرُ»[1].

٢- السنة ترجمان لتعاليم القرآن، ولهذا كانت أقواله وأفعاله ترجمة لما في القرآن من دعوة للأخلاق، يشهد لذلك قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن خلق النبي ﷺ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَولَ اللهِ عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾»[2].

٣- شهادة الله عز وجل لنبيه ﷺ بالخلق القويم، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤].

٤- دعوة الله عز وجل عباده المؤمنين للتأسي بالنبي الكريم ﷺ في إيمانه وعبادته وخلقه، فقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

٥- جاءت السنة حافلة أيضًا بالأقوال الداعية والمرغبة في القيم الإسلامية، فحث النبي ﷺ علىٰ الأخلاق الحميدة... فقال: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»[3]. وقال أيضًا: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات، ٣/ ٤٣٦، وحسنه الألباني، السلسلة الصحيحة ٢/ ٥٤١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤١/ ١٤٩، رقم: ٢٤٦٠٢، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٥/ ٢٢٤٥، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه ٤/ ١٨١٠.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: البر والصلة عن رسول الله، باب: ما جاء في معالي الأخلاق ٤/ ٣٧٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

Scanned with CamScanner

ومن أمثلة دعوة السنة النبوية إلىٰ مكارم الأخلاق والنهي عن مساوئها:

١- الحث علىٰ الحياء فقال: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»(١).

٢- الحث إلىٰ التواد والتراحم والتعاطف. فقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»(٢).

٣- الحث علىٰ السمع والطاعة وتجنب محدثات الأمور... فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان ١/ ١٧، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ١/ ٦٣.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم ٥/ ٢٢٣٨، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٤/ ١٩٩٩، واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب: العلم عن رسول الله، باب: ما جاء في الأخذ بالسنّة واجتناب البدع ٥/ ٤٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح، واللفظ له، وأبو داود في سننه كتاب: السنة،

Scanned with CamScanner

٤- التحذّير من سباب المسلم فقال: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[١]

٥- التحذير من خلق الكبر. فقال «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: «كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ[٢] مُسْتَكْبِرٍ»[٣].

٦- التحذير من بعض الأخلاق السيئة فقال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[٤].

باب: لزوم السنة، ٤/ ٢٠٠، وابن ماجه، في مقدمة سننه، باب: إتباع سنّة الخلفاء الراشدين المهديين ١/ ١٦.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ١/ ٢٧، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: بيان قول النبي ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، ١/ ٨١.

(٢) جواظ: هو الجموع المنوع، وقيل: الكثير اللحم، المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: عتل بعد ذلك زنيم ٦/ ٢٤٥٢، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٤/ ٢١٩٠، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (العُتُل): هو: الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الجافي الفظ الغليظ، و(الجُوَاظ): هو: الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/ ١٨٧-١٨٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٧، رقم ٤٦٧٨.

Scanned with CamScanner

٧- الحث علىٰ الحكمة في الدعوة. فقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»(١).

٨- تقديم النصح. قال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(٢).

٩- الحث علىٰ كفالة اليتيم فقال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَىٰ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا»(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلىٰ التوحيد ٦/ ٢٦٨٥، رقم ٦٩٣٧، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلىٰ الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥١، رقم. ٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، (١/ ٢١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الطلاق، باب: اللعان ٥/ ٢٠٣٢، رقم ٤٨٩٢، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزهد والرقائق، باب: الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين

Scanned with CamScanner

ثالثاً: الإجماع:

الإجماع هو: (اتفاق علماء العصر من أمة محمد ﷺ علىٰ أمر من أمور الدين بعد وفاته)[1].

مصدرية الإجماع للقيم الإسلامية:

١- أوجب الله علىٰ هذه اتباع سبيل المؤمنين وإجماعهم المتين، فقال ربّ العالمين: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولىٰ -أي: اتّباع الرسول رسول الله ﷺ- ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفًا لهم وتعظيمًا لنبيهم[2].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسلف علمهم أتم وأحكم، وأسد وأبين وأسلم، فلهذا كلّه صار أئمة الهدىٰ علىٰ دربهم، ومصابيح الدجىٰ علىٰ طريقهم، وهم القوم لا يشقىٰ جليسهم، ولا يخاف تابعهم، ولا يضل متّبعهم، ولا يهتدي مخالفهم»[3].

---

(١) ينظر: المستصفىٰ للغزالي (١/ ٢٧٣)، ومذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص ٢٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٥٦.

(٣) ينظر: المجموع للنووي ١/ ١٠.

Scanned with CamScanner

ومن النصوص النبوية، قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»(١). وغيرها من الأحاديث التي وردت في هذا المعنى(٢).

٢- أنّ الله ضمن العصمة للأمة في إجماعها في كل شؤونها، ومن ذلك قيمها وأخلاقها، فما رآه المسلمون حسنًا فهو الحسن، وما رأوه سيئًا فهو السيء، يشهد لذلك قوله: «سَأَلْتُ اللهَ ﷻ أَنْ لَا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا»(٣).

٣- دور الإجماع هو حسم مشكلة جديدة، ذات طابع أخلاقي أو فقهي، أو عبادي، وشرط الإجماع أن يكون كل عضو مدركًا لاستقلاله الأدبي ولمسئوليته الأخلاقية وأن يعبر عن رأيه في حرية، بعد تأمل ناضج في المشكلة المعروضة ولا أحد يمكن أن يكون مجتهدًا في هذه الجماعة إلا إذا كان له حق الاجتهاد، أما من له هذا الحق فهم أولئك الذين توفرت فيهم الشروط التي نص عليها العلماء في هذا الشأن، وقد كان الشافعي رَحِمَهُ اللهُ من أسبق من جمع الآلة التي له القياس بها، وهي العلم بأحكام كتاب الله، فرضه وأدبه، وناسخه ومنسوخه، وعامّهِ وخاصة وإرشاده، ويستدل على ما احتاج التأويل منه بسنن رسول الله ﷺ، فإذا لم يجد سنَّة فبإجماع المسلمين، فإن لم يكن إجماع فالقياس(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: قوله ﷺ: لا تزال طائفة ٣/ ١٥٢٣.

(٢) وقد جمعها الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٥٩٧-٦٠٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥/ ٢٠٠، رقم: ٢٧٢٢٤، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤) الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب (١/ ٤٠). نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول (١/ ١٠٤).

Scanned with CamScanner

ثانياً: أنواع القيم

تتنوع القيم حسب المقصود بها كما سبقت الإشارة إلىٰ ذلك في التعريف، فالقيمة عند علماء الاجتماع غير القيمة عند علماء الاقتصاد، وعند الفلاسفة يختلف عن غيرهم، ولكن إن قصدنا القيم بمعناها الشرعي السليم، فيمكن تقسيمها إلىٰ القيم الإسلامية، والقيم الحضارية، والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وتفصيل ذلك في الآتي، مع إبراز بعض القيم المندرجة تحت كل نوع.

أولًا: القيم الخلقية في الإسلام:

أولًا: الحق: تعريفه، وأدلته ومجالاته، وآثاره.

أولًا: التعريف بالحق لغةً واصطلاحًا:

الحق لغةً: له عدة معان حسب ما تضاف إليه، وعلىٰ حسب المراد منه، فمثلا: إذا كان المراد من صفة (الحق) أنها صفة من صفات الله، فعندئذ يكون لها تعريف خاص قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٢]، وفي حالة إضافتها إلىٰ كلمة (قول)، كما في كلامك: قولٌ حقٌّ. والحق: ضد الباطل[1].

والخلاصة أن كلمة (الحق) تطلق علىٰ عدة معاني منها:

من ذلك: أنه صفة من صفات الله ﷻ، أو الشيء الثابت حقيقة، والذي

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (١/ ١٠٠).

Scanned with CamScanner

لا يسوغ إنكاره، كما يطلق علىٰ الحُكْمُ المطابق للواقع، وهو أيضًا: ضد الباطل والكذب والظلم.

الحق اصطلاحًا: «هو الحُكْمُ المطابق للواقع»، يطلق علىٰ الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتمالها علىٰ ذلك، ويقابله الباطل. وأما الصدق فقد شاع في الأقوال خاصة، ويقابله الكذب، وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع، وفي الصدق من جانب الحكم، فمعنىٰ صدق الحكم مطابقته للواقع، ومعنىٰ حقيقته مطابقة الواقع إياه[1].

ثانيًا: الحق في نصوص الشرع وكلام أئمة السلف:

١- الحقّ في القرآن الكريم:

ورد لفظ (الحق) في القرآن الكريم في ثلاثة وثمانين ومائتي (٢٨٣) موضعًا، بمعان عدّة لخصها الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن[2] بقوله:

«أصل الحَقّ: المطابقة والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حقّه لدورانه علىٰ استقامة.

والحقّ يقال علىٰ أوجه:

الأول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالىٰ: هو الحقّ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ [سورة يونس: ٣٠]، وقيل بعيد ذلك: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ

---

(١) التعريفات، للجرجاني، ص٨٩.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ص ٢٤٧.

Scanned with CamScanner

﴿تُصْرَفُونَ﴾ [سورة يونس: ٣٢].

والثاني: يقال للموجد بحسب مقتضىٰ الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالىٰ كلّه حق، نحو قولنا: الموت حق، والبعث حق، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [سورة يونس: ٥]، وقال في القيامة: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [سورة يونس: ٥٣].

والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنّة والنّار حقّ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

والرابع: للفعل والقول بحسب ما يجب وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حقّ وقولك حقّ، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [سورة غافر: ٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [سورة المؤمنون: ٧١]، يصح أن يكون المراد به الله تعالىٰ، ويصحّ أن يراد به الحكم الذي هو بحسب مقتضىٰ الحكمة. ويقال: أَحققْتُ كذا؛ أي: أثبتّه حقًّا، أو حكمت بكونه حقًّا، وقوله تعالىٰ: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ [سورة الأنفال: ٨] فإحقاق الحقّ علىٰ ضربين:

أحدهما: بإظهار الأدلّة والآيات، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء: ٩١]؛ أي: حجة قوية.

Scanned with CamScanner

والثاني: بإكمال الشريعة وبثّها في الكافّة، كقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف: ٨]».

٢- الحقّ في السنة النّبويّة:

وردت لفظة الحق في السنّة النبوية مرادًا بها معان متنوّعة منها:

- الحَقُّ: ضِدّ البَاطِلِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «**مَن رَآنِي فَقَدْ رَأَىٰ الحَقَّ**»(١)؛ أَيْ: رُؤْيَا صَادِقَةً لَيْسَتْ مِنْ أَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ. وَقِيلَ فَقَدْ رآنِي حَقِيقَةً غَيْرَ مُشَبَّه.
- ومنه الصدق: كما في الحديث «**أَمِينًا حَقٌّ أَمِينٌ**» أَيْ: صِدْقًا. وَقِيلَ: وَاجِبًا ثَابِتًا لَهُ الْأَمَانَةُ.
- ومنه الثواب الذي وعد الله عباده إياه: كما في الحديث: «**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟**» قَالَ: **قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ ﷻ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**(٢)؛ أَيْ: ثَوابُهم الَّذِي وعَدهم بِهِ، فَهُوَ وَاجِبُ الإنجازِ ثابِتٌ بوعْدِه الحَقِّ.
- ومنه النصيب والفرض: كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ أَعْطَىٰ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه**

---

(١) أخرجه البخاري، باب: من رأىٰ النبي في المنام (٩/ ٣٣)، ومسلم، باب: من رآني في المنام (٤/ ١٧٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم علىٰ

Scanned with CamScanner

فَلَا وصِيَّة لِوَارث»[1]؛ أَيْ: حظَّه ونَصِيبه الَّذِي فرِض لَهُ[2].

٣- الحق في أقوال السلف:

قَالَ أمير المؤمنين قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يُمِيتُونَ الْبَاطِلَ بِهَجْرِهِ، وَيُحْيُونَ الْحَقَّ بِذِكْرِهِ، رَغِبُوا فَرَغِبُوا، وَرَهِبُوا فَرَهِبُوا، خَافُوا فَلَا يَأْمَنُونَ، أَبْصَرُوا مِنَ الْيَقِينِ مَا لَمْ يَعَاينُوا فَخَلَطُوهُ بِمَا لَمْ يُزَايِلُوهُ، أَخْلَصَهُمُ الْخَوْفُ فَكَانُوا يَهْجُرُونَ مَا يَنْقَطِعُ عَنْهُمْ لِمَا يَبْقَىٰ لَهُمُ، الْحَيَاةُ عَلَيْهِمْ نِعْمَةٌ وَالْمَوْتُ لَهُمْ كَرَامَةٌ، فَزُوِّجُوا الْحُورَ الْعَيْنَ، وَأُخْدِمُوا الْوِلْدَانَ الْمُخَلَّدِينَ»**[3]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **«من جاءك بالحق فاقبل منه وان كان بعيدًا بغيضًا ومن جاءك بالباطل فأردده عليه وإن كان قريبًا حبيبًا»**[4].

ثالثًا: مجالات الحق

مجالات الحق كثيرة جدًّا، ومنها علىٰ سبيل التمثيل:

١- **حق الله علىٰ العباد:** وهو حق العبادة كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: **«كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ:**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الوصايا، باب: في الوصية للوارث (٤/ ٤٩٢)، والترمذي في سننه، أبواب الوصايا عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء لا وصية لوارث (٣/ ٥٠٤)، وان ماجه في سننه كتاب الوصايا، باب: لا وصية لوارث (٢/ ٨٩٨). وصححه الألباني في تعليقه علىٰ سنن ابن ماجه.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ١/ ٤١٣.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (١/ ٥٥).

(٤) شرح السنة للبغوي (١/ ٢٣٤).

Scanned with CamScanner

«يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَىٰ اللهِ ﷻ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟، قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا».

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حق الله علىٰ عباده ما أوجبه عليهم بحكمه وألزمهم إياه بخطابه، وحق العباد علىٰ الله: هو ما وعدهم به من الثواب والجزاء، فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق وقوله الحق، الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر، ولا الخلف في الوعد، فالله تعالىٰ لا يجب عليه شيء بحكم الأمر؛ إذ لا آمر فوقه، ولا بحكم العقل إذ العقل كاشف لا موجب»[1].

٢- **حق العباد علىٰ الله**: وهو كما جاء في الحديث أن لا يعذب من لا يشرك به شي وهذا الحق حق تفضل من الله وتكرم وهو متحقق إن شاء الله قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٩].

٣- **حق الأفراد بعضهم علىٰ بعض منها**: إفشاء السلام، ورد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم، والاهتمام بالمنصوح له، والتنفيس عن المكروب، والتيسير علىٰ المعسر، والإغضاء عن العيوب، والابتعاد عن الأذىٰ كالحسد والتباغض والظلم والتحقير، إلىٰ غير ذلك من هذه الحقوق الأخوية اللازمة، والمبادئ الاجتماعية الواجبة. والأدلة عليها: قوله ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ

(١) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، ١/ ٣٥٦-٣٥٧.

Scanned with CamScanner

فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[1].

قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: «أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ القَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ»[2].

وعن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...»[3].

وعن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[4]، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[5]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام (٤/ ١٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز (٢/ ٧١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر (٤/ ٢٠٧٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: لا يخطب من خطب أخيه حتىٰ ينكح أويدع (٥/ ١٩٧٦) ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب: تحريم الظن، والتجسس، والتنافس، والتناجش ونحوها (٤/ ١٩٨٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢/ ٨٦٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (٤/ ١٩٨٦).

Scanned with CamScanner

رابعًا: آثار الحق علىٰ الفرد والمجتمع.

- إقامة الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه.
- حفظ الحقوق وتقدير الناس وإنزالهم منازلهم التي تليق بهم.
- انتشار الألفة والرحمة والمودة والطمأنينة بين أفراد المجتمع.
- تحقيق اتباع أمر الله وأمر رسوله ﷺ وتطبيق الشرع.
- المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات **(بالعدل)**.

Scanned with CamScanner

ثانياً: العدل: تعريفه وأدلته ومجالاته، وآثاره.

أولًا: تعريف العدل في اللغة والاصطلاح:

العدل لغةً: خلاف الجور وهو ما قام في النّفوس أنّه مستقيم، وقد يستعمل هذا المصدر استعمال الصّفات، فيقال: رجل عدل، والعدل من النّاس المرضيّ المستقيم الطّريقة، ومن مرادفاته العدالة[١].

و(العدل) اسم من أسماء الله ﷻ، وهو الّذي لا يميل به الهوىٰ فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمّي به فوضع موضع (اسم الفاعل) العادل والمصدر أبلغ منه لأنّه جعل المسمّىٰ نفسه عدلًا[٢].

العدل اصطلاحًا: هو فصل الحكومة علىٰ ما في كتاب الله- ﷻ- وسنّة رسوله ﷺ لا الحكم بالرّأي المجرّد[٣]. وقيل: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقّين في حقوقهم[٤].

وقال ابن حزم: هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه[٥].

وقال الراغب: «العَدْلُ ضربان:

- مطلق: يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخا، ولا يوصف بالاعتداء بوجه، نحو: الإحسان إلىٰ من أحسن إليك، وكفّ الأذيّة عمّن

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٢٤٦)

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٨٣٩).

(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٨٠).

(٤) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢٥٣).

(٥) مداواة النفوس (٨١).

Scanned with CamScanner

كفّ أذاه عنك.

- وعَدْلٌ يُعرَف كونه عَدْلًا بالشّرع، ويمكن أن يكون منسوخا في بعض الأزمنة، كالقصاص وأروش الجنايات، وأصل مال المرتدّ. ولذلك قال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [سورة الشورى: ٤٠]، فسمّي اعتداء وسيئة، وهذا النحو هو المعنيّ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، فإنّ العَدْلَ هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير، وإن شرّا فشرّ، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشرّ بأقلّ منه»[1].

ثانيًا: العدل في الكتاب والسنة وأقوال السلف:

١- القرآن الكريم:

ورد العدل في القرآن بمعان وصيغ عدّة منها:

- الأمر بالعدل وأداء الحقوق إلىٰ أهلها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥٨]

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

- وقال تعالىٰ آمرًا الأنبياء بالقسط والعدل: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ص ٥٥٢.

Scanned with CamScanner

﴿ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦]

وقال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١٥]

- التنويه بفضل القائمين به، قال تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨١]. ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٩].

أمر بالعدل في الشهادة حفظًا للحقوق وتمييزًا بين الحق من الباطل. قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٠٦].

وقال سبحانه: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [سورة الطلاق: ٢].

٢- السنة النبوية:

قال ابن الأثير: «تَكَرَّرَ ذِكْرُ العِدْل والعَدْل بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ فِي الْحَدِيثِ. وَهُمَا

Scanned with CamScanner

بِمَعْنَىٰ المِثْل. وَقِيلَ: هُوَ بِالْفَتْحِ مَا عَادَلَه مِنْ جنْسِه، وَبِالْكَسْرِ مَا لَيْسَ مِنْ جنْسِه وَقِيلَ بِالْعَكْسِ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ «قَالُوا: مَا يُغْنِي عنَّا الإِسْلامُ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللهِ»؛ أَيْ أَشْرَكنا بِهِ وجَعَلنا لَهُ مِثْلا. وَفِيهِ «العِلْم ثلاثَةٌ مِنْهَا فريضَةٌ عَادِلَة»[1] أرادَ العَدْل فِي القِسْمة؛ أَيْ: مُعَدَّلَة عَلَىٰ السِّهام المذكُورة فِي الكِتَاب والسُّنة مِنْ غَيْرِ جَوْر»[2].

- وورد في السنّة بيان فضل من تحلّىٰ بالقسط والعدل، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[4].

- وورد في السنة التحذير من الحيف والظلم، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٤٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٩١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث علىٰ الرفق بالرعية، (٣/ ١٤٥٨) (١٨٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمارة، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (١/ ٢٣٤). ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة (٢/ ٧١٥)، (١٠٣١)

Scanned with CamScanner

رسول الله ﷺ «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِهِ: فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا»[1].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ»[2].

٣- أقوال السلف في العدل:

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنَّ الله إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول؛ لتحيا القلوب، فإنَّ القلوب ميتة في صدورها حتىٰ يحييها الله، من علم شيئًا فلينفع به، إنَّ للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء والهين واللين، وأما التباشير فالرحمة، وقد جعل الله لكل أمر بابًا، ويسَّر لكلِّ باب مفتاحًا، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت، والاستعداد بتقديم الأموال، والزهد أخذ الحقِّ من كلِّ أحد قِبَله حقٌّ، والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف، فإن لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء...)[3].
- وقدِم علىٰ عمر بن الخطاب رجل من أهل العراق، فقال: لقد جئتك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: من أقام البينة بعد اليمين (٣/ ١٨٠)، ٢٦٨٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: من قضي له بحق أخيه (٥/ ١٢٨)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة (٣/ ١٢٩)، ٢٢٤٧. ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب: تحريم الظلم، (٤/ ١٩٩٦) (٢٥٧٨).

(٣) أخرجه الطبري؛ في تاريخ الرسل والملوك: ٣/ ٤٨٥، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٧/ ٤٣.

Scanned with CamScanner

لأمر ما له رأس ولا ذنب. فقال عمر: ما هو؟ قال: شهادات الزور ظهرت بأرضنا. فقال عمر: أو قد كان ذلك؟! قال نعم. فقال عمر: والله لا يؤسر رجل في الإسلام بغير العدول؛ أي: لا يُحبَس، والأسر الحبس، أو لا يملك ملك الأسير؛ لإقامة الحقوق عليه إلا بالصحابة الذين جميعهم عدول، وبالعدول من غيرهم، فمن لم يكن صحابيًّا ولم تُعرَف عدالته لم تُقبَل شهادته حتىٰ تُعرَف عدالته من فسقه[1].

- وقال ميمون بن مهران: (سمعت عمر بن عبد العزيز ﷺ يقول: لو أقمت فيكم خمسين عامًا ما استكملت فيكم العدل، إني لأريد الأمر وأخاف أن لا تحمله قلوبكم فأخرج معه طمعًا من الدنيا؛ فإن أنكرت قلوبكم هذا سكنت إلىٰ هذا)[2].
- وخطب سعيد بن سويد بحمص، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أيُّها الناس، إنَّ للإسلام حائطًا منيعًا، وبابًا وثيقًا، فحائط الإسلام الحقُّ، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتدَّ السلطان، وليست شدة السلطان قتلًا بالسيف، ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذًا بالعدل[3].

ثالثًا: مجالات العدل

العدل من القيم العامة التي تشمل جميع مناحي الحياة، وبها تحفظ مقاصد عظام كالنفس والمال والعرض التي هي أمّ الفضائل؛ إذ لا يتصور أمر بدون عدل،

---

(١) شرح الزرقاني علىٰ الموطأ: ٤/ ١٠، أخرجه مالك في الموطأ: ٢/ ٧٢٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤٥/ ١٨١، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام: ٧/ ١٩٧).

(٣) العقد الفريد؛ لابن عبد ربه: ١/ ٢٧.

Scanned with CamScanner

وهذه بعض مجالات العدل:

١. **العدل في الاعتقاد.**

إن من العدل عدم المساواة بين من يخلق ومن لا يخلق فعبادة الله الخالق وإفراده بالعبادة هو عين العدل، وعبادة غيره من الذين لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون هو عين الظلم؛ لأنه مساواة بين الذي يخلق سبحانه والذي لا يخلق قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١]، ومعني يَعْدِلُونَ أي يساوون بين الذي خلق السموات والأرض، وبين المخلوق الذي لا يملك من أمره شيئًا، فهذا عين الظلم قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]، وقال الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ١٧].

٢. **العدل في الأسرة:**

بأن يعطي كلا منهم حقه في النفقة والسكنىٰ والمبيت بالعدل، لا شك أن العدل يبدأ في الأسرة من حين الزواج وتعدّد الزوجات قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [سورة النساء: ٣] فمجرد الخوف من الظلم وعدم العدل يلزمه الاقتصار علىٰ زوجة واحدة، يقول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ

Scanned with CamScanner

إِلَىٰ إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»[1].

وقال ﷺ «وَمَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا فِي الْقَسَمِ مِنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا مَائِلًا شِقُّهُ حَتَّىٰ يَدْخُلَ النَّارَ»[2]، فهذا تحذير صريح من النبي ﷺ.

٣. **العدل في الأعطيات بين الأولاد**: ورد عن عامر، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، وَهُوَ عَلَىٰ المِنبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَىٰ حَتَّىٰ تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ»[3].

وعن أنس رضي الله عنه: «قَالَ: كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ فَجَاءَ ابْنٌ لَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ ثُمَّ جَاءَتْ بِنْتٌ لَهُ فَأَجْلَسَهَا إِلَىٰ جَنْبِهِ قَالَ: «فَهَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا»[4].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب: في القسم بين النساء، (٢/ ٢٤٢). والدارمي في مسنده (٢/ ١٩٣)؛ وصححه الألباني في الجامع الصغير (١١٤٧).

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البوصيري برقم ١٥٤٣ اتحاف الخيرة المهرة (٢/ ٢٩١)؛ والهيثمي برقم ٢٠٥ بغية الباحث (١/ ٣٠٩)، وابن حجر في المطالب العالية (٢/ ٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: الإشهاد في الهبة (٣/ ١٥٨).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٤٦٨)؛ والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٨٩)؛ قال الهيثمي: رواه البزار، قال: حدثنا بعض أصحابنا، وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد (٨/ ١٥٦)

Scanned with CamScanner

٤. العدل في المعاملات:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢].

٥. العدل في الحكم والقضاء

فالحكم والقضاء من المجالات التي يجب فيها العدل ويحرم فيه الظلم ولهذا أثنىٰ الشرع علىٰ الإمام العادل وكافئه بفضل عظيم يوم القيامة حيث جعله من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما أخبر بذلك النبي ﷺ. وقد أمر الله -جل وعلا- عباده بالعدل في الحكم والقضاء قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥٨]

وقسم النبي ﷺ القضاة إلىٰ ثلاثة أقسام وأخبر أن من حكم بالعدل منهم وابتعد عن الظلم في الجنة فقال النبي ﷺ: «**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَىٰ بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَىٰ لِلنَّاسِ عَلَىٰ جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ**»[(١)].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب: في القاضي يخطئ (٣/ ٢٩٩) والترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب: ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي (٣/ ٦١٢)؛ وابن ماجه في سننه، أبواب الأحكام، باب: الحاكم يجتهد فيصيب الحق (٣/ ٤١١) قال عنه الألباني: صحيح لغيره

Scanned with CamScanner

ولخطورة أمر القضاء وفصل النزاع بين الخصماء نفر كثير من السلف
الصالح من منصب القضاء، بل فضل بعضهم السجن والضرب على
تولي القضاء كالإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره.

وهذا يدل على كمال ورعهم وخوفهم من الظلم واهتمامهم بما أوجب
الله على عباده من القيام بالعدل بين الناس في الحكم والقضاء، فكل من
نصب نفسه للقضاء بين اثنين يجب عليه العدل وإلا عد ظلما، كما ذكر
ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «وكل من حكم بين اثنين فهو قاض،
سواء كان صاحب حرب أو متولي ديوان أو منتصبًا للاحتساب بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى الذي يحكم بين الصبيان في
الخطوط فإن الصحابة كانوا يعدونه من الحكام، ولما كان الحكام
مأمورين بالعدل بالعلم، وكان المفروض إنما هو بما يبلغه جهد
الرجل، قال النبي ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا
اجتهد فأخطأ فله أجر**»[1][2].

٦- العدل في الولاية والشهادة والكتابة.

فيشمل الولاية الخاصة والولاية العامة فكل بحسبه، وكذلك الشهادة
يجب أن تتصف بالعدل وإلا كانت ظلما، فمن تحمل شيئًا فطلب
للشهادة فالواجب عليه أن يشهد بالعدل على كائن من كان. ومثله

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب
(٩١٣٣). ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو
أخطأ (٣١٣٤٢).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ١٠٠).

Scanned with CamScanner

الكتابة كما أمر الله -جل وعلا- في آية الدين في آخر البقرة.

٧- العدل في الكيل والميزان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٨١ - ١٨٣].

٨- العدل في الأنساب، فمن العدل أن ينسب المرء إلىٰ أبيه ويحرم نسبته إلىٰ غير أبيه ولذلك حرم التبني وجعله ظلمًا كما في سورة الأحزاب قال الله -جل وعلا-: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤ - ٥].

رابعًا: آثار العدل علىٰ الفرد والمجتمع:

- تحقيق اتباع أمر الله وأمر رسوله ﷺ وتطبيق الشرع.
- المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، وذلك بتطبيق الحكم الشرعي علىٰ الشريف والوضيع.
- تحصيل الهداية والسلامة والسعادة.
- حماية العقيدة والتحرر من ذل العبودية لغير الله والمحافظة علىٰ الضروريات الخمس.

Scanned with CamScanner

- تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع بحيث يشعر كل واحد من أفراد المجتمع بالراحة والطمأنينة بأن حقه لن يضيع وأنه ضامن له وسيصل إليه، وهذا له تأثير كبير علىٰ سلوك الفر والمجتمع، ويكون سببًا لزول كثير من الشرور والجرام والأحقاد.
- إن عاقبة العدل حميدة علىٰ الفرد والمجتمع كما أن عاقبة الظلم وخيمة علىٰ الفرد والمجتمع قال شيخ الإسلام: «فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروىٰ: «الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة»[1].

Scanned with CamScanner

ثالثًا: الإحسان: تعريفه، وأدلته، ومجالاته، وآثاره

أولًا: تعريف الإحسان في اللغة والاصطلاح:

الإحسان لغةً: ضدّ الإساءة، والمحاسن في الأعمال: ضدّ المساوئ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٢]؛ أي: يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سيّء غيرهم(١).

الإحسان اصطلاحًا:

يختلف معنىٰ الإحسان اصطلاحًا باختلاف السّياق الّذي يرد فيه، فإذا اقترن بالإيمان والإسلام كان المراد به: الإشارة إلىٰ المراقبة وحسن الطّاعة، وقد فسّره النّبيّ ﷺ بذلك عندما سأله جبريل: «**مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(٢).

أمّا إذا ورد «الإحسان» مطلقًا فإنّ المراد به فعل ما هو حسن، والحسن وصف مشتقّ من الحسن، وقال الرّاغب: الإحسان: فعل ما ينبغي فعله من المعروف، وهو ضربان:

أحدهما: الإنعام علىٰ الغير.

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور ١/ ٨٧٧.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، ١/ ١٩. ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، ١/ ٣٦.

Scanned with CamScanner

والثّاني: الإحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا محمودًا، وعمل عملًا حسنًا[1].

ثانيًا: الإحسان في القرآن والسنة:

١- القرآن الكريم:

- **لقد جلىٰ القرآن الكريم كنه الإحسان وبين مرتبته المنيفة في آيات** عدّة، ومن ذلك:

«قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [سورة السجدة: ٧]، والإحسان أعمّ من الإنعام. قال تعالىٰ: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ [سورة الإسراء: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، فالإحسان فوق العدل، وذاك أنّ العدل هو أن يعطي ما عليه، ويأخذ أقلّ مما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه، ويأخذ أقلّ ممّا له.

فالإحسان زائد علىٰ العدل، فتحرّي العدل واجب، وتحرّي الإحسان ندب وتطوّع، وعلىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [سورة النساء: ١٢٥]»[2].

ومما ورد أيضًا من معاني الإحسان وثواب أهله، وأمر العباد به ما يأتي:

- **الإحسان من صفات الله تعالىٰ:** ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٨]

---

(١) ينظر: المفردات للراغب ٢/ ١٥٣، والتعريفات للجرجاني ١/ ٤٣٢.

(٢) انظر: المفردات للراغب، ص ٢٣٧.

Scanned with CamScanner

- **الإحسان من صفات الأنبياء وصالحي المؤمنين:** قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٢٥]

وقال تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣٦].

- **أمر الله بالإحسان:** قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [سورة النساء: ٨٦].

- **جزاء الإحسان:**

أ- معية الله للمحسنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩].

ب- حب الله للمحسنين: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤].

ج - إكرام الله للمحسنين في الدنيا والآخرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ

Scanned with CamScanner

فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٥٨].

٢- السنّة النبوية:

تعددت أساليب السنة في الدلالة علىٰ الإحسان والدعوة إليه، ومن ذلك:

- بيان النبي ﷺ لمرتبة الإحسان: في قوله ﷺ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

- دعاء النبي ﷺ ربه بلوغ رتبة الإحسان في الأعمال: ومن ذلك، ما ثبت عنه ﷺ، أنه كان يقول: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلا أنت**»(٢).

- وأمرُه ﷺ: لمعاذ رضي الله عنه أن يقول دبر كل صلاة: «**اللهم أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٣).

- الدعوة إلىٰ الإحسان إلىٰ الوالدين: فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال:

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، ١/ ١٩. ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، ١/ ٣٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: الذكر والدعاء في صلاة الليل ١/ ٥٣٥ برقم ٧٧١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة: باب في الاستغفار برقم (١٥٢٢)، والنسائي في سننه في السهو برقم (١٣٠٤)، وابن حبان في صحيحه برقم (٢٠٢٠).

Scanned with CamScanner

«أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَىٰ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَىٰ وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»(١).

- بيان عظم جزاء الإحسان: عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ زَلَفَهَا، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهَا»(٢).

وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ تَعَالَىٰ وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَّاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»(٣).

- وعن شدّاد بن أوس رضي الله عنه قال: «ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب: باب بر الوالدين وأنهما أحق به (٤/ ١٩٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: باب حسن إسلام المرء، (١/ ١٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام (٢/ ١٠٤٣).

Scanned with CamScanner

ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[1].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: **«مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»**[2].

٣- الإحسان من خلال آثار السلف:

- عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: «خمس، لهنّ أحسن من الدّهم الموقفة. لا تكلّم فيما لا يعنيك، فإنّه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلّم فيما يعنيك حتّىٰ تجد له موضعا، فإنّه ربّ متكلّم في أمر يعنيه، قد وضعه في غير موضعه فعنّت، ولا تمار حليما ولا سفيها، فإنّ الحليم يقليك وإنّ السّفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا تغيّب عنك ممّا تحبّ أن يذكرك به. وأعفه عمّا تحبّ أن يعفيك منه، واعمل عمل رجل يرىٰ أنّه مجازىٰ بالإحسان، مأخوذ بالإجرام»[3].

- عن الحسن البصري رحمه الله قال: «ليس الإيمان بالتّحلّي ولا بالتّمنّي،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل (٣/ ١٥٤٨).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (٨/ ٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الإحسان إلىٰ البنات، (٤/ ٢٠٢٧).

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (٤/ ٢٦٢) وابن أبي الدنيا في الصمت، لابن أبي الدنيا (٢٦٤- ٢٦٥).

Scanned with CamScanner

ولكن ما وقر في القلوب وصدّقته الأعمال، من قال حسنا، وعمل غير صالح، ردّه الله عليه»[1].

- عن عبيد الله بن عديّ بن خيار: أنّه دخل علىٰ عثمان بن عفّان رضي الله عنه وهو محصور فقال: «إنّك إمام عامّة، ونزل بك ما نرىٰ، ويصلّي لنا إمام فتنة ونتحرّج. فقال: «الصّلاة أحسن ما يعمل النّاس، فإذا أحسن النّاس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم»[2].

ثالثًا: مجالات الإحسان:

من تأمل النصوص الواردة في الإحسان علم أن مجالاته كثيرة ومتنوعة، بل هو شامل لجميع الحياة، ومن أهم المجالات ما يأتي:

١- **إحسان العبد إلىٰ ربه ومولاه:** قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: ٧].

٢- **الإحسان مع النفس:** قال تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [سورة الإسراء:

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٨٠) والخطيب في اقتضاء العلم العمل (٤٣)، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٩٢١)، وابن بطة في الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٢/ ٨٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمارة، باب: إمامة المفتون والمبتدع (١/ ١٤١)، رقم: ٦٩٥.

Scanned with CamScanner

٧]. وقوله ﷺ: «كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[١].

٣- الإحسان مع الوالدين: قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣].

٤- الإحسان مع الأقارب في النسب والجوار مع الناس عمومًا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣].

وقد ورد الحثّ علىٰ الإحسان إلىٰ الجار في قوله ﷺ: «وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا»[٢].

ووصىٰ النبي ﷺ معاذا لما أرسله إلىٰ اليمن، حيث يقول معاذ رضي الله عنه: آخر ما وصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز أن قال: «أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل»[٣].

٥- الإحسان إلىٰ المجتمع عمومًا: قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة، باب: الطهور شطر الإيمان (١/ ٢٠٣) برقم: ٢٢٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الزهد، باب: الورع والتقوىٰ (٢/ ١٤٠٩)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ كتاب حسن الخلق (٢/ ٩٠٢).

Scanned with CamScanner

مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

٦- **الإحسان مع المخالف:** قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

٧- الإحسان إلىٰ المدعوين عمومًا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

٨- الإحسان إلىٰ كل شي حتىٰ الجمال والحيوان والنبات قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٦]، وقال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»**(١).

رابعًا: آثار الإحسان علىٰ الفرد والمجتمع.

- الصبر عن المصائب، قال تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة هود: ١١٥].
- مجاهدة النّفس بكظم الغيظ ومحاربة الشّحّ وكبح شهوة الانتقام

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيد والذبائح، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل (٣/ ١٥٤٨).

Scanned with CamScanner

والإحسان إلىٰ المسيء، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤].

- الأدب في الحوار والمناظرة قال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٣].

- مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا ما استثني منهم وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

- الحرص علىٰ الاقتداء بالنبي ﷺ في كل عمل. «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ**».

- من ثمار الإحسان تماسك بنيان المجتمع وحمايته من الخراب والتّهلكة، والأفكار الهدامة والتفكك الأسري.

- الإحسان هو المقياس الّذي يقاس به نجاح الإنسان في علاقته بالحياة.

- الإحسان هو الوسيلة للرّقيّ والتّقدّم.

- انتشار خلق المسامحة بين المجتمع في الحقوق والمعاملات قال ابن قدامة: « فمن الإحسان المسامحة في البيع، وأن لا يغبنه في الربح بما لا يتغابن في العادة، فأما أصل المغابنة فمأذون فيه؛ لأن البيع للربح، ولكن يراعىٰ فيه التقريب، فإن بذل المشترىٰ زيادة علىٰ الربح المعتاد لشدة رغبته وحاجته، فينبغي أن يمتنع البائع من قبول ذلك، فإن ذلك من

Scanned with CamScanner

الإحسان.

ومن ذلك أنه إذا أراد استيفاء الثمن أو الدين، فيحسن تارة بالمسامحة وتارة بحط البعض، وتارة بالإنظار، وتارة بالتساهل، وتارة في جودة النقد.

ومن الإحسان: أن يقيل من يستقيله، فإنه لا يستقيل إلا متضرر بالبيع، والأحاديث تشهد بفضل هذه الأمور المذكورة، وما لصاحبها من الأجر والثواب[1].

إنه يحمي العبد من عصيان خالقه ويحمله علىٰ المرقبة قال ابن القيم: «فإنّ «الإحسان» إذا باشر القلبَ منَعَه من المعاصي، فإن من عَبَدَ الله كأنّه يراه لم يكن ذلك إلا لاستيلاء ذكره ومحبته وخوفه ورجائه علىٰ قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك يحول بينه وبيّن إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها فإذا خرج من دائرة «الإحسان» فاته صحبةُ رُفَقِه الخاصة، وعيشُهم الهنيء، ونعيمُهم التام»[2].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٨٥).

(٢) الداء والدواء لابن القيم (١/ ١٧٤).

Scanned with CamScanner

رابعاً: الصدق: تعريفه، وأدلته، ومجالاته، وآثاره.

أولًا: تعريف الصدق في اللغة والاصطلاح:

الصدق لغةً: قال ابن منظور: الصدق: نقيض الكذب، يقال: صدقه الحديث: أنبأه بالصدق، وصدقت القوم: قلت لهم صدقا، ورجل صدوق أبلغ من الصادق، والصديق الدائم التصديق، ويكون أيضًا الذي يصدق قوله بالعمل، والصديق المبالغ في الصدق قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٨٧][(١)].

الصدق اصطلاحًا:

قال الرّاغب: الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معا، ومتىٰ انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاما، بل إما ألا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب علىٰ نظرين مختلفين، كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد: محمد رسول الله، فإن هذا يصح أن يقال: صدق لكون المخبر عنه كذلك، ويجوز أن يقال كذب لمخالفة قوله ضميره، وبالوجه الثاني، إكذاب الله المنافقين حيث قالوا: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١][(٢)].

وقال الجرجاني: مطابقة الحكم للواقع، وهذا هو ضد الكذب[(٣)].

---

(١) ينظر: المقاييس (٣/ ٣٣٩)، والمفردات للراغب (٢٧٧)، ولسان العرب لابن منظور ١٠/ ١٩٢.

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني (٢٧٧).

(٣) التعريفات للجرجاني (١٣٢). فائدة: الفرق بين الإخلاص والصدق: جعلوا الإخلاص لازمًا، والصدق أعم، فقالوا: كل صادق مخلص، وليس كل مخلص صادقًا. وسئل الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن

Scanned with CamScanner

ثانيًا: الصدق في الكتاب والسنة وآثار السلف:

١- القرآن الكريم:

- الصدق من صفات الصالحين: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٨-١١٩].

- **عظم أجر الصادق** ورفع درجته حيث ذكره الله من جملة من أنعم عليهم وأثنىٰ علىٰ طريقهم وذم خلاف طريقهم وغضب علىٰ بعضهم وحكم علىٰ الآخرين بالضلال ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]، قال تعالىٰ:

الصدق والإخلاص أهما واحد أم بينهما فرق؟ فقال: بينهما فرق. الصدق أصل، والإخلاص فرع، والصدق أصل كل شيء، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأعمال، والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما. انظر: دليل الفالحين (١/ ٢٠٢).

Scanned with CamScanner

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [سورة النساء: ٦٩].

- **الصدق هو جماع الخير**: قال تعالىٰ: ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ [سورة محمد: ٢١]، فهو عنوان الإسلام وميزان الإيمان وعلامة الكمال.
- **الصدق يهدي إلىٰ البر الجامع لأبواب الخير كلها الموصلة إلىٰ جنات النعيم**: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ﴾ [سورة الانفطار: ١٣].
- **قصر التقوىٰ علىٰ الصادق**: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣]. بين جزاء الصادقين بعد أن قصر التقوىٰ عليهم وأكرمهم وتفضل عليه بإعطائهم ما يشاءون من الخيرات والنعم.

٢- السنة النبوية:

- الصدق سبب دخول الجنة: عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٢).

Scanned with CamScanner

- الصدق من صفات الأنبياء والصالحين: عن ابن عبّاس ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤]. صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [سورة المسد: ١-٢][(١)].

٣- آثار السلف في الصدق:

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «من كانت له عند النّاس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث، من إذا حدّثهم صدقهم، وإذا ائتمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفّىٰ لهم، وجب له عليهم أن تحبّه قلوبهم، وتنطق بالثّناء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم»[(٢)].

قيل للقمان الحكيم: ألست عبد بني فلان؟ قال: بلىٰ. قيل: فما بلغ بك ما أرىٰ؟ قال: تقوىٰ الله عز وجل، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني، ثمّ قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك) ألن جانبك (٦/ ١١١).

(٢) الآداب الشرعية: ١/ ٢٩.

Scanned with CamScanner

ألا ربّ من تغشّه لك ناصح ومؤتمن بالغيب غير أمين[1]

قال نافع مولىٰ ابن عمر: «طاف ابن عمر سبعًا وصلّىٰ ركعتين، فقال رجل من قريش: ما أسرع ما طفت وصلّيت يا أبا عبد الرّحمن؟ فقال ابن عمر: «أنتم أكثر منّا طوافا وصياما ونحن خير منكم بصدق الحديث وأداء الأمانة وإنجاز الوعد»[2].

ثالثًا: مجالات الصدق

قسم ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مجالات الصدق باعتبار المحل فجعلها في: الأقوال، والأعمال، والأحوال.

١- أمّا الصدق في الأقوال: فهو استواء اللسان علىٰ الأقوال، ويكون بموافقة القول لما في القلب، فمن قال قولًا، ولو كان مطابقًا للواقع، ولكنه يخالف ما في مكنونه؛ فإنه يعتبر كاذبًا بذلك، فينبغي أن يكون الداعية صادق اللهجة، غير مداهن ولا مراوغ.

٢- وأمّا الصدق في الأعمال: فهو استواء الأفعال علىٰ الأمر والمتابعة، وفي حقّ الداعية: مطابقة الأعمال، والأقوال للحقّ الذي يدعو إليه.

٣- وأمّا الصدق في الأحوال: فهو استواء أعمال القلب والجوارح علىٰ الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، بحيث لا يُظهر الداعية خشوعًا، أو صلاحًا، وقلبه ينطوي علىٰ خلاف ذلك.

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٣٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٠).

Scanned with CamScanner

فينبغي أن يكون الصدق شعار الداعية في جميع حركاته وسكناته، فيتواطأ بذلك القلب واللِّسان والجوارح علىٰ شيء واحد، وهو الإخلاص والمتابعة[1].

وقال أيضًا: قد أخبر -سبحانه- أنّه أكرم عباده المتّقين بأن جعل لهم: مدخل صدق ومخرج صدق ولسان صدق وقدم صدق ومقعد صدق. وحقيقة الصّدق في هذه الأشياء هو الحقّ الثّابت المتّصل بالله، الموصل إلىٰ الله. وهو ما كان به وله من الأقوال والأعمال. وجزاء ذلك في الدّنيا والآخرة[2].

وأما مجالاته باعتبار التعلق فثلاثة أيضًا.

١- الصدق مع الله، ويكون بالإيمان به، والإخلاص له، وحسن التوكل عليه والرجاء فيه.

٢- الصدق مع النفس، ويكون بمراقبة الله، وإتقان العمل، وبذل الوسع في نجاتها وسعادتها.

٣- الصدق مع الآخرين، ويكون بالنصح لهم، والحرص عليهم، وحسن التعامل معهم.

رابعًا: آثار صفة الصدق علىٰ الفرد والمجتمع.

- إذا كان المسلم صادقًا في أحواله وأعماله، كان قدوة حسنة لغيره، فيتعظ الناس بحاله قبل مقاله، وقد قيل: (من لم تنفعك رؤيته لا تنفعك دعوته). فالنفوس لا تأنس لحديث إلاّ من ظهر صلاحه، وبان صدقه، في أحواله

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٥٨.

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/ ٢٨٢).

Scanned with CamScanner

وأقواله وأعماله، ولذلك كان من أقبح القبح مخالفة الأقوال للأفعال، كما قال تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف: ٣]. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النفوس مجبولة علىٰ عدم قبول من لا يعمل بعلمه، ولا ينتفع به، وهذا بمنزلة من يصف له الطبيب دواء لمرض به مثله، والطبيب معرض عنه غير ملتفت إليه[1].

- الراحة وطمأنينته: حيث يشعر الفرد بهذا الشعور رغم ما يترتب عليه من تبعات في بعض المواقف نتيجة التزامه الصدق.
- إدراك حب الناس: الصّادقون يحبّهم النّاس ويثقون بهم ويأتمنونهم في سائر معاملاتهم.
- إدراك حب الله: الصّادقون هم أحباب الله المقرّبون.
- رفع الأعمال: الصّدق يرفع الأعمال ويعلي شأنها.
- الصدق منجاة: ففي الصّدق نجاة، وفي الكذب هلاك.

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٤٦.

Scanned with CamScanner

خامساً: الوفاء: تعريفه، وأدلته، ومجالاته، وآثاره.

أولًا: التعريف بالوفاء لغةً واصطلاحًا:

الوفاء لغةً: مصدر قولهم: وَفَىٰ يفي وفاء، وهو مأخوذ من مادّة (و ف ي) الّتي تدلّ علىٰ «إكمال وإتمام» يقول ابن فارس: ومن هذا الوفاء: إتمام العهد وإكمال الشّرط، ويقولون منه أيضًا: أوفيتك الشّيء، إذا قضيته إيّاه وافيًا، وتوفّيت الشّيء واستوفيته، إذا أخذته كلّه حتّىٰ لم تترك منه شيئًا[1].

وقيل: الخلق الشّريف العالي الرّفيع من قولهم: وفىٰ الشّعر فهو واف إذا زاد، ووفيت له بالعهد أفي، ووافيت أوافي. ومنه الوفاء بالعهد: وسمّي بذلك لما فيه من بلوغ تمام الكمال في تنفيذ كلّ ما عاهد عليه الله، وفي كلّ ما عاهد عليه العباد[2].

الوفاء اصطلاحًا:

قال الرّاغب: الوفاء بالعهد: إتمامه وعدم نقض حفظه[3].

وقال الجرجانيّ: الوفاء: هو ملازمة طريق المواساة، ومحافظة عهود الخلطاء[4].

وقال الجاحظ: الوفاء: هو الصّبر علىٰ ما يبذله الإنسان من نفسه وبرهنه به

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ١٢٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ٣٩٨). وانظر: بصائر ذوي التمييز الفيروزآبادي (٤/ ١١٤- ١١٥). ونزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٤٤٦).

(٣) المفردات للراغب الأصفهاني٥٢٨.

(٤) التعريفات للجرجاني (ص ٢٧٤)، والمناوي في التوقيف (ص ٣٩٣).

Scanned with CamScanner

لسانه والخروج ممّا يضمنه (بمقتضىٰ العهد الّذي قطعه علىٰ نفسه) وإن كان مجحفا به، فليس يعدّ وفيّا من لم تلحقه بوفائه أذيّة وإن قلّت، وكلّما أضرّ به الدّخول تحت ما حكم به علىٰ نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء[1].

ثانيًا: الوفاء في القرآن والسنة وآثار السلف.

١- القرآن الكريم:

-الوفاء من صفات الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ١١١]

- الوفاء من صفات الأنبياء قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [سورة النجم: ٣٦-٣٧].

- أمر الله تعالىٰ الوفاء بالعهود والمواثيق: قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ

---

(١) تهذيب الأخلاق (ص ٢٤).

Scanned with CamScanner

﴿بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١ - ١٥٢].

- أمر الله بالوفاء بالعقود ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة المائدة: ١].

- الوفاء بالوعود من صفا الرسل: قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٤].

٢- السنة النبوية:

عقد الإمام السخاوي في كتابه: (التماس السعد في الوفاء بالوعد) بابًا في الأحاديث والآثار الواردة في الوفاء بالوعد، ثم قال: وقد كان ﷺ أعظم خلق الله وفاءا بالوعد، ثم ساق جملة من الأحاديث منها:

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْحَمْسَاءِ، قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ، فَنَسِيتُ، ثُمَّ ذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: **«يَا فَتَىٰ، لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثٍ أَنْتَظِرُكَ»**(١).

- عن عقبة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: **«أَحَقُّ مَا أَوْفَيْتُمْ مِنَ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب: في العدة (٤٩٩٦). وضعفه الألباني.

Scanned with CamScanner

بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الفُرُوجَ»[1]

- وعن عبادة بن الصّامت ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»[2].

- وعن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله ﷺ «أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَاهُ تُوُفِّيَ وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسْقًا لِرَجُلٍ مِنَ اليَهُودِ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ، فَأَبَىٰ أَنْ يُنْظِرَهُ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَكَلَّمَ اليَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ ثَمَرَ نَخْلِهِ بِالَّذِي لَهُ، فَأَبَىٰ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّخْلَ، فَمَشَىٰ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ لِجَابِرٍ: «جُدَّ لَهُ، فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ» فَجَدَّهُ بَعْدَمَا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَوْفَاهُ ثَلَاثِينَ وَسْقًا، وَفَضَلَتْ لَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَسْقًا، فَجَاءَ جَابِرٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي كَانَ، فَوَجَدَهُ يُصَلِّي العَصْرَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالفَضْلِ، فَقَالَ: «أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الخَطَّابِ»، فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَىٰ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ عَلِمْتُ حِينَ مَشَىٰ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيُبَارَكَنَّ فِيهَا»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب النكاح، باب: أي أحق الشروط بالوفاء شروط النكاح (٥١٥١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٢٣) والطبراني حكاه الهيثمي في المجمع (٤/ ٢١٨) واللفظ عندهما متفق. ورجال أحمد ثقات إلا أن المطلب لم يسمع من عبادة. والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٩) وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال فيه إرسال.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: إذا قاص أو جازفه في الدين تمرًا بتمر أو غيره (٣/ ١١٧).

Scanned with CamScanner

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ المُتَوَفَّىٰ، عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: **«هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟»**، فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّىٰ، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: **«صَلُّوا عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ»**، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الفُتُوحَ، قَالَ: «أَنَا أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ المُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا، فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ»[1].

٣- آثار السلف:

- قال أبو العالية: ستّ خصال في المنافقين إذا كانت فيهم الظّهرة علىٰ النّاس أظهروا هذه الخصال: إذا حدّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظّهرة عليهم أظهروا الخصال الثّلاث: إذا حدّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا»[2].
- قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: «وَصَفَ أَعْرَابِيٌّ قَوْمًا، فَقَالَ: أُولَئِكَ قَوْمٌ أَدَّبَتْهُمُ الْحِكْمَةُ، وَأَحْكَمَتْهُمُ التَّجَارِبُ، وَلَمْ تَغُرَّهُمُ السَّلَامَةُ الْمُنْطَوِيَةُ عَلَىٰ الْهَلَكَةِ، وَرَحَلَ عَنْهُمُ التَّسْوِيفُ الَّذِي قَطَعَ النَّاسُ بِهِ مَسَافَةَ آجَالِهِمْ، فَقَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْوَعْدِ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ، فَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ، وَشَفَعُوهُ بِالْفِعَالِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَكَانَ يُقَالُ: «آفَةُ الْمُرُوءَةِ خُلْفُ الْوَعْدِ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الكفالة، باب: من تكفل عن ميت دينا، فليس له أن يرجع (٣/ ٩٦).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٦٧.

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، ص ٨٣.

Scanned with CamScanner

ثالثًا: مجالات الوفاء:

١- **وفاء في حق الله ﷻ في عبادته وحده لا شريك له والبعد عن الشرك**، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢]: ومن الوفاء أيضًا: أداء العبادات.

٢- **الوفاء بحق النفس وبحقوق الآخرين**: فعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: «آخَىٰ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَىٰ أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّىٰ تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»(١).

٣- **الوفاء بالأيمان والنذور**: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الصوم، باب: من أقسم علىٰ أخيه ليفطر في التطوّع ٢/ ٦٩٤.

Scanned with CamScanner

٤- **الوفاء ببيعة الحاكم:** وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَىٰ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ**»[(١)]. قال ابن بطال رحمه الله: «في هذا الحديث وعيد شديد في الخروج علىٰ الأئمة، ونكث بيعتهم لأمر الله بالوفاء بالعقود»[(٢)].

رابعًا: آثار الوفاء علىٰ الفرد والمجتمع.

- تحقيق التقوىٰ لله تعالىٰ، فمن تمسك بالوفاء أورثه في القلب التقوىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ٦٣].

- الفوز بمحبة الله -جل وعلا- قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٦].

- الوفاء من الصفات الأساسيّة في بناء المجتمعات الإسلاميّة، وبفقد الوفاء تنعدم الثقة وينتشر التنافر ويسوء التعامل؛ لأن جميع التعاملات قائمة علىٰ الوفاء بها.

- الوفاء سبب لإيجاد السعادة في نفس صاحبه؛ لأنه وفّي حق الله عز وجل وحقوق المسلمين.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٢٧٩).

Scanned with CamScanner

سادساً: الأمانة: تعريفها، وأدلتها، ومجالاتها، وآثارها.

أولًا: تعريف الأمانة لغةً واصطلاحًا.

الأمانة لغةً: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق يقال: أمنت الرجل أمنًا وأمنةً وأمانًا، وآمنني يؤمنني إيمانًا والعرب تقول: رجل أمان: إذا كان أمين. رجل أمنة: إذا كان يأمنه الناس ولا يخافون غائلته، وأمنة بالفتح يصدق ما سمع ولا يكذب بشيء، يثق بالناس[1].

الأمانة اصطلاحًا: قال المناوي: **الأمانة:** هي كلّ حق لزمك أداؤه وحفظه[2].

وقيل: هي رعاية حقوق الله تعالىٰ بتأدية المرء للفرائض والواجبات، وكذلك المحافظة علىٰ حقوق العباد فلا يطمع الإنسان في وديعة أؤتمن عليها ولا ينكر مالًا أو متاعًا أمّنه الناس عليه[3].

ثانيًا: الأمانة في القرآن والسنة وآثار السلف:

١- القرآن الكريم:

حفل القرآن الكريم ببيان حقيقة الأمانة وعظم شأنها، وتعددت أساليبه في الأمر بها والترغيب مما يضادها ويناقضها، ومن تلكم النصوص ما يأتي:

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ١/ ١٣٤. والقاموس الفقهي (ص: ٢٥).

(٢) فيض القدير للمناوي ١/ ٢٢٣.

(٣) انظر: موسوعة أخلاق القرآن للشرباصي ٢/ ١٥.

Scanned with CamScanner

- أمر الله بأداء الأمانة إلىٰ أهلها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [سورة النساء: ٥٨].

- ونهىٰ عن ضد الأمانة وهي الخيانة فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٧].

- الأمانة من أخلاق الأنبياء: قال تعالىٰ -في قصة الأنبياء في سورة الشّعراء لما بلّغوا رسالة ربهم إلىٰ أقوامهم-، قال كلّ منهم لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ [سورة الشّعراء: ١٢٥].

- الأمانة من أوصاف المؤمنين، بعد ذكر الله تعالىٰ أوصاف المؤمنين من أداء الصلاة والخشوع فيها والإعراض عن اللغو وحفظ الفروج قال عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٨].

- التنويه بعظم شأن الأمانة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

٢- السنّة النبويّة:

جاءت السنّة مؤكدة لمعاني الأمانة في القرآن الكريم، ومن ذلكم:

- الأمانة هي صفة المؤمن والخيانة صفة المنافق: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ،

Scanned with CamScanner

وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[2].

- قيام دعوة الإسلام علىٰ الأمانة: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ، أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ: «أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ»، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ»[3].

- الأمر بالأمانة والنهي عن الخيانة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[4].

- ضياع الأمانة من أمارات الساعة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ فَمَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق (١/ ٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق (١/ ٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق (١/ ٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلىٰ الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله (٤/ ٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب: في الرجل يأخذ حقه من تحت يده (٣/ ٢٨٩). والترمذي في جامعه، كتاب أبواب البيوع عن النبي ﷺ باب (١٢٦٤) وقال: حديث صحيح، وقال محقق جامع الأصول (١/ ٣٢٣): حديث صحيح.

Scanned with CamScanner

مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّىٰ إِذَا قَضَىٰ حَدِيثَهُ قَالَ: «**أَيْنَ -أُرَاهُ- السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ**» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»(١).

- عظم شأن الأمانة وخطرها يوم القيامة: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّىٰ الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»(٢).

٣- آثار السلف:

- قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «أصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة»(٣).

- وعن ابن أبي نجيح قال: «لما أتي عمر بتاج كسرىٰ وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول: والله إن الذي أدىٰ إلينا هذا لأمين. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدّون إليك ما أدّيت إلىٰ الله فإذا رتعت رتعوا. قال: صدقت»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل (١/ ٢١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة (٣/ ١٤٥٧).

(٣) أخرجه البيهقي نحوه في «السنن الكبرىٰ» (١٣٠٠٩).

(٤) أخرجه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ١١٥).

Scanned with CamScanner

- وعن هشام أن عمر رضي الله عنه قال: «لا تغرني صلاة امرئ ولا صومه من شاء صام ومن شاء صلىٰ لا دين لمن لا أمانة له»[1].

- وعن سفيان بن عيينة قال: «من لم يكن له رأس مال فليتخذ الأمانة رأس ماله»[2]

ثالثًا: مجالات الأمانة:

١- أمانة العبادة لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

وقال القرطبي رحمه الله: الأمانة تعم جميع وظائف الدين علىٰ الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور[3].

وقال السعدي رحمه الله: جميع ما أوجبه الله علىٰ عبده أمانة، علىٰ العبد حفظها بالقيام التام بها، وكذلك يدخل في ذلك أمانات الآدميين، كأمانات الأموال والأسرار ونحوهما، فعلىٰ العبد مراعاة الأمرين، وأداء الأمانتين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: ٥٨][4]. وبمقدار ما يضيع الرجل من عبادته يضيع من أمانته.

٢- أمانة الودائع: وهي أغراض الناس التي تحفظ عندك فترة ثم تردها إلىٰ

---

(١) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٦٢).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٠٠).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٢٥٢).

(٤) ينظر: تفسير السعدي ص: ٥٤٧.

Scanned with CamScanner

أصحابها عندما يطلبوها قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [سورة النساء: ٥٨].

٣- أمانة الأعراض بحفظها وعدم كشفها: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠﴾

[سورة النور: ٣٠ - ٣١]

٤- أمانة الأولاد: فتربيتهم أمانة ولهذا جاء في الحديث: **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»**(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَكم مِمَّن أَشْقَىٰ وَلَده وفلذة كبده فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة بإهماله وَترك تأديبه وإعانته لَهُ علىٰ شهواته، وَيَزْعُم أَنه يُكرمهُ وَقد أهانه، وَأَنه يرحمه وَقد ظلمه وَحرمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عَلَيْهِ حَظه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَإِذا اعْتبرت الْفساد فِي الْأَوْلَاد رَأَيْت عامته من قبل الْآبَاء(٢).

٥- أمانة الأموال: فالمال أمانة يسأل عنها يوم القيمة من أين أكتسبه وفيما أنفقه قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلىٰ عليه (٢/ ٩٣).

(٢) ينظر: تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم، ص ٢٤٢.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص ٤/ ٦١٢ (٢٤١٧)، والدارمي في المقدمة، باب: من كره الشهرة والمعرفة ١/

Scanned with CamScanner

٦- **حرمة التبذير وأكل الربا وأكل المال بالباطل** قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [سورة النساء: ٢٩].

وقال تعالىٰ ناهيا عن أكل أموال الناس بالباطل: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٨].

٧- **أمانة التعامل مع الناس:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٨]

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تُبيّن هذه الآية الأمانة بين الناس وخالقهم من صلاة وغيرها، وكذلك أنهم حافظون لأمانات الله وأمانات العباد وحافظون لعهودهم مع الله ومع العباد؛ أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا وإذا عاهدوا لم يغدروا، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين[1].

٨- **الأمانة الوظيفية:** من الأمانة الوظيفية عدم الغلول قال رسول الله ﷺ: **«مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَىٰ عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا، فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ»**[2]، ومن الأمانة الوظيفية: تولية المستحق والكفؤ جاء عن أبي ذر قال: **«قُلْتُ: يَا رَسُولَ**

١٤٤، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٦)، وصحيح الجامع (٧٣٠٠)، وصحيح الترغيب والترهيب١٢٦).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٣١٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والفيء والإمارة باب أرزاق العمال (٣/ ١٣٤).

Scanned with CamScanner

اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّىٰ الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[1]. ومن الأمانة الوظيفية: القيام بواجب العمل علىٰ أتم وجه وأحسنه.

٩- **أمانة المجالس**: قال رسول الله ﷺ: «الْمَجَالِسُ بِالْأَمَانَةِ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَجَالِسَ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجٌ حَرَامٌ، أَوْ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ»[2].

١٠- **الرسالات** فمن الأمانة فيها أن توصلها كاملة إلىٰ أصحابها من غير زيادة ولا نقص فمن زاد عليها أو أنقص شيئًا منها لم يكن أمينًا.

١١- **الكتابة** ويدخل في مجالات الأمانة الكتابة فالذي يتولىٰ عمل الكتابة في جميع المجالات لابد وأن يكون أمينا صادقا، فالأمانة في الكتابة مهمة والخيانة فيها خطيرة قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: كراهية الإمارة، ٦/ ٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: في نقل الحديث (٤/ ٢٦٧).

Scanned with CamScanner

.[٢٨٢]

رابعًا: من آثار الأمانة علىٰ الفرد والمجتمع.

- الأمانة أشرف القيم وأعلاها.
- حفظ الدّين والأموال والعرض، والنفس والعقل، وهذه هي الضروريات الخمسة.
- المتصف بالأمانة يحبّه الله ويحبّه النّاس.
- الأمانة سبب لإشاعة الأمن بين الناس، وحفظ الحقوق وظهور المودة والمحبة بين المجتمع.

والأمانة هي قيمة ذاتيه، ولكن إذا أخلها بها الإنسان وجب علىٰ ولي الأمر تأديبه ومتابعته، من أجل لذلك أنشأت الدولة حفظها الله هيئة للعناية بهذا الأمر وهي «**هيئة الرقابة ومكافحة الفساد «نزاهة»**»[1].

أولًا: التعريف بالهيئة:

هيئة الرقابة ومكافحة الفساد هي: «جهة اعتبارية ذات ولاية واستقلال تام ماليًّا وإداريًّا، مرتبطة مباشرة بالملك، تمارس الاحتساب الرقابي علىٰ كافة الجهات العامة في الدولة، والشركات التي تملك فيها الدولة نسبة لا تقل عن

---

(١) لقد استل هذا الجزء من رسالة الدكتور سويلم بن حاضر العتيبي بعنوان: «المسؤولية الدعوية تجاه الفساد المالي والإداري دراسة ميدانية علىٰ عينة من الجهات الرسمية» جامعة الإمام محمد بن سعود.

Scanned with CamScanner

٢٥٪ من رأس مالها»[1].

ثانيًا: نشأة الهيئة وتطورها:

المتتبع لتاريخ هذه الهيئة المباركة يجد أن نشأتها وتأسيسها قد مرتا بمرحلتين حتىٰ وصلتا لما هي عليه في وقتنا الحاضر، ويمكن للباحث سرد أبرز ما جاء في هاتين المرحلتين باختصار علىٰ النحو الآتي:

المرحلة الأولىٰ:

بدأت هذه المرحلة في النصف الأول من العام الثاني من العقد الماضي، ففي الثالث عشر من الشهر الرابع لعام ١٤٣٢هـ، أصدر الملك عبد الله بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمره الكريم بإنشاء هذه الهيئة تحت مسمىٰ «الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد»، وقد جاء بيانه علىٰ النحو الآتي: «الرقم: أ/ ٦٥، التاريخ: ١٣/ ٤/ ١٤٣٢هـ...بعد الاطلاع علىٰ المادة الثامنة والخمسين من النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر الملكي رقم أ/ ٩٠ بتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ...وانطلاقًا من قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: ٧٧]، واستشعارًا منا للمسؤولية المُلقاة علىٰ عاتقنا في حماية المال العام، ومحاربة الفساد، والقضاء عليه، علىٰ هَدْي كريم من مقاصد شريعتنا المطهرة التي حاربت الفساد، وأوجدت الضمانات، وهيأت الأسباب لمحاصرته، وتطهير المجتمع من آثاره الخطيرة،

---

(١) الدور الاحتسابي للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في حماية النزاهة ومكافحة الفساد في المملكة العربية السعودية، إعداد/ موسىٰ بن سمير بن رجاء الله الحيسوني الحربي، ص (٩)، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣٦هـ.

Scanned with CamScanner

وتبعاته الوخيمة علىٰ الدولة في مؤسساتها، وأفرادها، ومستقبل أجيالها، أمرنا بما هو آت:

(١) إنشاء «الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد»، ترتبط بنا مباشرة.

(٢) تشمل مهام الهيئة كافة القطاعات الحكومية، ولا يستثنىٰ من ذلك كائنًا من كان، وتسند إليها مهام متابعة تنفيذ الأوامر والتعليمات الخاصة بالشأن العام، ويدخل في اختصاصها متابعة أوجه الفساد الإداري والمالي.

(٣) علىٰ رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء، ورئيس الديوان الملكي تزويد الهيئة بكافة الأوامر ذات الصلة بمهامها، وعلىٰ جميع الوزارات والمؤسسات والمصالح الحكومية وغيرها الرفع للهيئة بكل المشاريع المعتمدة لديها وعقودها، ومدة تنفيذها، وصيانتها وتشغيلها.

(٤) دون الإخلال باختصاصات الجهات الرقابية الأخرىٰ تقوم الهيئة بالتنسيق اللازم مع تلك الجهات فيما يخص الشأن العام ومصالح المواطنين، وعلىٰ تلك الجهات تزويد الهيئة بأي ملاحظات مالية أو إدارية تدخل ضمن مهام الهيئة»[1].

المرحلة الثانية:

أما عن المرحلة الثانية فقد بدأت مع منتصف الشهر الرابع من العام الأول

---

(١) الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد، الأمر الملكي القاضي بإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، تنظيم الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، ص (٢٠، ٢١)، إصدار الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، حي الغدير، الرياض، المملكة العربية السعودية.

Scanned with CamScanner

من العقد الحالى، حيث أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز -حفظه الله- أمره الملكي رقم (أ/ ٢٧٧).

وفي هذه المرحلة حصل عدة تغييرات أبرزها تغيير المسمىٰ من الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد كما كانت عليه في المرحلة الأولىٰ إلىٰ المسمىٰ الحالي؛ وهو هيئة الرقابة ومكافحة الفساد. والسبب في هذا التغيير هو ضم هيئة الرقابة والمباحث الإدارية إلىٰ الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد.

ثالثًا: أهداف الهيئة:

تتبنىٰ هيئة الرقابة ومكافحة الفساد العديد من الأهداف التي تعكس مهمتها وتوضح غايتها وتسهم بشكل واضح -بإذن الله تعالىٰ- في الوقاية من الفساد المالي والإداري[1].

وهذه الأهداف هي:

١- **حماية النزاهة:** ومعنىٰ النزاهة هو: «اكتساب المال من غير مَهَانة ولا ظُلْم، وإنفاقه في المصارف الحميدة»[2].

٢ - **تعزيز مبدأ الشفافية:** وذلك بـ «وضوح التشريعات، وسهولة فهمها، واستقرارها مع بعضها، وموضوعيتها، ووضوح لغتها، ومرونتها، وتطورها وفقًا للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية، وبما يتناسب مع روح العصر،

---

(١) نزاهة الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، ص (٦)، إصدار الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، مرجع سابق، (١/ ٣٢٣).

Scanned with CamScanner

إضافة إلىٰ تبسيط الإجراءات، ونشر المعلومات، والإفصاح عنها، وسهولة الوصول إليها بحيث تكون متاحة للجميع»[1].

٣ - مكافحة الفساد المالي والإداري بشتىٰ صوره ومظاهره وأساليبه: وهذا الهدف «من أهم الأهداف لأنّه الإجراء الذي يكون بعد وقوع جريمة الفساد، ويهدف إلىٰ الإصلاح ومحاربة الفساد»[2].

رابعًا: وسائل الهيئة في الوقاية من الفساد المالي والإداري:

وأبرز الوسائل التي تعتمد عليها الهيئة في الوقاية من الفساد المالي والإداري، فيما يأتي:

(١) **عقد المؤتمرات:** ومن تلك المؤتمرات:

أ. مؤتمر نزاهة الدولي الأول لمكافحة الفساد[3].

ب. مؤتمر نزاهة الدولي الثاني لمكافحة الفساد[4].

---

(١) الشفافية الإدارية وتأثيرها علىٰ سلوك وكفاءة العاملين، تأليف/ عبد الله الفيتوري، ص (٦)، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٥م.

(٢) الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد ودورها في محاربة الفساد المالي: دراسة مقارنة، تأليف/ سلامة بن سليم الرفاعي، ص (١٠٠)، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٦ه، ٢٠١٥م.

(٣) ينظر: الموقع الرسمي لهيئة الرقابة ومكافحة الفساد https://nazaha.gov.sa/ar-sa/MediaCenter/news/Pages/_news775.aspx، بتاريخ ١٥/ ٩/ ١٤٤١هـ.

(٤) نزاهة تطلق مؤتمر الحوكمة والشفافية والمساءلة غدا، صحيفة مكة المكرمة، بتاريخ، الأحد، ١٩/ فبراير/ ٢٠١٧م.

Scanned with CamScanner

ت. مؤتمر نزاهة الدولي الثالث[1].

(٢) إقامة الندوات:

أ. ندوة «حماية النزاهة ومكافحة الفساد»[2].

ب. ندوة: «دور الرقابة الإلكترونية في حماية النزاهة ومكافحة الفساد».

ج. ندوة «دور البرامج التوعوية في تعزيز النزاهة»[3].

(٣) تنظيم ورش العمل:

ولعل من أبرزها ما يلي:

أ. ورشة عمل بعنوان: «إجراءات قضايا الفساد المالي والإداري»[4].

ب. ورشة عمل بعنوان: «التعريف في مؤشر مدركات الفساد»[5].

ج. ورشة عمل بعنوان: (دور المراجعة الداخلية في تعزيز النزاهة لدى

---

(١) الموقع الرسمي لهيئة الرقابة ، https://nazaha.gov.sa/ar-sa/MediaCenter/news/Pages/_news 1102.aspx بتاريخ ١٥/ ٩/ ١٤٤١هـ.

(٢) الموقع الرسمي للهيئة ، https://nazaha.gov.sa/ar-sa/MediaCenter/Activities/Pages/Activite15.asp، بتاريخ ١٥/ ٩/ ١٤٤١هـ.

(٣) الموقع الرسمي للهيئة https://nazaha.gov.sa/ar-sa/MediaCenter/Activities/Pages/Activite14.aspx، بتاريخ ٢٠/ ٩/ ١٤٤١هـ؛ صحيفة المدينة، بتاريخ ٢٨/ أكتوبر/ ٢٠١٤م.

(٤) الموقع الرسمي للهيئة، https://www.nazaha.gov.sa/ar-sa/MediaCenter/news/Pages/News1261.aspx، بتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٤٤١هـ.

(٥) الموقع الرسمي للهيئة، https://nazaha.gov.sa/ar-sa/MediaCenter/news/Pages/news1263.aspx، بتاريخ ٢٥/ ٩/ ١٤٤١هـ.

Scanned with CamScanner

منشآت القطاع الخاص)[1].

د. ورشة عمل بعنوان: (دور وحدات المراجعة الداخلية في تعزيز النزاهة- القطاع العام)[2].

(٤) إنشاء أندية نزاهة:

تمثل أندية نزاهة إحدىٰ الوسائل التي تعتمد عليها هيئة الرقابة ومكافحة الفساد في تحصين الشباب -لاسيما أبناء المؤسسات التعليمية- من الوقوع في جرائم الفساد المالي والإداري. حيث: «تتمثل الأهداف العامة لهذه الأندية -كما بينته الهيئة- فيما يأتي:

- تنمية الرقابة الذاتية لدىٰ طلاب وطالبات الجامعات والكليات.
- بيان مخاطر الفساد وآثاره علىٰ الفرد والمجتمع.
- نشر ثقافة النزاهة ومكافحة الفساد.
- تعزيز المواطنة وروح الانتماء عبر القيم الاجتماعية التي تحمي المجتمع.
- تنظيم ورعاية الأنشطة الطلابية والثقافية والعلمية للطلاب في مجال النزاهة»[3].

---

(١) الموقع الرسمي للهيئة، https://nazaha.gov.sa/ar-sa/MediaCenter/Activities/Pages/Activite27.aspx، بتاريخ ٢٥/ ٩/ ١٤٤١هـ.

(٢) الموقع الرسمي للهيئة، https://nazaha.gov.sa/ar- sa/MediaCenter/Activities/Pages/Activite26.asp، بتاريخ ٢٥/ ٩/ ١٤٤١م.

(٣) الخطة التنفيذية لمبادرة أندية نزاهة بالجامعات والكليات، الإدارة العامة لتعزيز النزاهة، مرجع سابق، ص (٧). بتصرف».

Scanned with CamScanner

(٥) إجراء البحوث والدراسات المتعلقة بالفساد المالي والإداري:

وتنتهج الهيئة لتحقيق ذلك عدة سياسات أبرزها ما يأتي:

(أ) تحديد الموضوعات السنوية للبحوث، والدراسات المتعلقة بمجالي حماية النزاهة ومكافحة الفساد التي يتعين إجراؤها، وتنفيذها بعد اعتمادها.

(ب) تشجيع الدارسين ذوي العلاقة بموضوع الفساد في مؤسسات التعليم العالي المختلفة علىٰ إعداد بحوث تخرجهم في مجال تخصصات الهيئة، وتزويدهم بالمعلومات التي تساعدهم علىٰ إعدادها.

(ج) متابعة ما يستجد من تقارير وأبحاث في موضوع حماية النزاهة ومكافحة الفساد علىٰ المستوىٰ المحلي.

(د) نشر البحوث والرسائل العلمية في مجال تخصصات الهيئة، وتخصيص جوائز مادية ومعنوية للبحوث المتميزة في مجال اختصاصات الهيئة[١].

خامسًا: أساليب الهيئة في الوقاية من الفساد المالي والإداري:

(١) التحري عن وقائع الفساد المالي والإداري في المجتمع:

وهذا التحري يتضمن المجالات الآتية:

(أ) التحري عن أوجه الفساد المالي والإداري في عقود الأشغال العامة.

(ب) التحري عن أوجه الفساد المالي والإداري في عقود التشغيل والصيانة.

---

(١) الدور الاحتسابي للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، «دراسة تأصيلية وميدانية»، مرجع سابق، ص (٣١٩).

Scanned with CamScanner

(ج) التحري عن أوجه الفساد المالي والإداري في العقود المتعلقة بالشأن العام ومصالح المواطنين في الجهات المشمولة باختصاصات الهيئة[1].

(٢) متابعة تنفيذ الأنظمة والتعليمات المتعلقة بمكافحة الفساد والوقاية منه:

وذلك بمتابعة جميع ما ورد في الإستراتيجية من إجراءات يجب تطبيقها سواء أكان ذلك من قبل الجهات الحكومية الرقابية أو القضائية تكون من اختصاصات الهيئة، وحتىٰ يتسنىٰ لها القيام بعملها علىٰ الوجه الأكمل وتفعيل هذا الأسلوب المسهم في الوقاية من الفساد المالي والإداري[2].

(٣) اشتراط إقرار الذمة المالية لبعض العاملين في الدولة:

المقصود بإقرار الذمة المالية هو: «إخبار الموظف المقِّر بما له من أموال، وما عليه من حقوق، وذلك بقصد معرفة قدر ما اكتسبه الموظف زيادة علىٰ أجره من الوظيفة»[3].

وإقرار الذمة المالية يهدف إلىٰ منع استثمار الوظيفة في تحقيق المصالح الشخصية أو التربح منها، وكذلك لمنع الاعتداء علىٰ المال العام؛ مما يقتضى أن يشار إليه في نظام حماية المال العام المقرر إقراره وفقا للإستراتيجية الوطنية،

---

(١) الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد الأمر الملكي القاضي بإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد تنظيم الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، مرجع سابق، ص (٢٥).

(٢) وسائل الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد، البند الثاني؛ الفساد الإداري في العالم العربي: مفهومه وأبعاده المختلفة، تأليف/ محمد صادق إسماعيل، ص (١١٦، ١١٧)، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط ١، ٢٠١٤م.

(٣) الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد ودورها في محاربة الفساد المالي: دراسة مقارنة، مرجع سابق، ص (٦٢٨).

Scanned with CamScanner

ويحدد في هذا النظام ما هى العقوبات التى يمكن أن توقع علىٰ من اكتشف زيادة ملحوظة في أمواله بعد توليه للوظيفة؛ لأنّ هذا يمثل وظيفة الإثراء غير المشروع[١].

(٤) استرداد الأموال المختلسة:

فإذا ثبتت الجريمة وتمت إدانة الجاني فإنه يحكم عليه بالتعويض مقابل الضرر الذي نتج عن الجريمة، وهذا التعويض يكون حقا للدولة ما دام الضرر قد لحق بها أو بمرافقها العامة.[٢]

وهنا يتجلىٰ دور الهيئة وإسهاماتها في الوقاية من الفساد المالى والإداري، حيث يحق لها وفقا لاختصاصاتها: «متابعة استرداد الأموال والعائدات الناتجة من جرائم الفساد مع الجهات المختصة»[٣].

(٥) التشجيع علىٰ الإبلاغ عن جرائم الفساد المالى والإداري:

يعدّ هذا الأسلوب أيضًا من أبرز الأساليب التى تعتمد عليها الهيئة في الوقاية من الفساد المالى والإداري، ويرتكز هذا الأسلوب علىٰ ما نصت عليه الإستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد علىٰ: «حثّ المواطن والمقيم علىٰ

---

(١) ينظر: الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد الأمر الملكي القاضي بإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد تنظيم الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، مرجع سابق، ص (٢٨).

(٢) موسوعة الفقه والقضاء والتشريع في الأموال العامة، تأليف/ دكتور صبري الحمادي، ص (٣٩)، المركز القضائي للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ١، ٢٠١١م.

(٣) الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد؛ الأمر الملكي القاضي بإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، تنظيم الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، مرجع سابق ص (٢٦).

Scanned with CamScanner

التعاون مع الجهات المعنية بمكافحة الفساد، والإبلاغ عن جرائم الفساد ومرتكبيها»[1].

(٦) تطوير الأنظمة واللوائح:

يشكل أسلوب تطوير الأنظمة واللوائح أحد الأساليب التى تعتمد عليها الهيئة أيضًا في الوقاية من الفساد المالى والإداري[2].

(٧) التوعية والتثقيف:

وتسعىٰ الهيئة لتفعيل هذا الأسلوب عبر العديد من الإجراءات، «أبرزها ما يأتي:

(أ) الإشراف علىٰ عمليات نشر الوعى بمفهوم الفساد وبيان أخطاره وآثاره.

(ب) إجراء اتصالات مع وسائل الإعلام لحثها علىٰ التعاون والإسهام في نشر الوعى بمفهوم الفساد ونشر ثقافة حماية النزاهة.

(ج) وضع خطط لعقد مؤتمرات وندوات حول الشفافية والنزاهة ومكافحة الفساد، والإشراف علىٰ تنفيذها[3].

(٨) تشجيع برامج حماية النزاهة والوقاية من الفساد المالي والإداري:

---

(١) الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد؛ الأمر الملكي القاضي بإنشاء الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، تنظيم الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، مرجع سابق ص (١٦).

(٢) الدور الاحتسابي للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في حماية النزاهة ومكافحة الفساد في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص (٣٠٨).

(٣) الدور الاحتسابي للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في حماية النزاهة ومكافحة الفساد في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص (٣٠٨، ٣٠٩).

Scanned with CamScanner

التعاون مع الجهات المعنية بمكافحة الفساد، والإبلاغ عن جرائم الفس
ومرتكبيها»[1].

(٦) تطوير الأنظمة واللوائح:

يشكل أسلوب تطوير الأنظمة واللوائح أحد الأساليب التى تعتمد علي
الهيئة أيضًا في الوقاية من الفساد المالى والإداري[2].

(٧) التوعية والتثقيف:

وتسعىٰ الهيئة لتفعيل هذا الأسلوب عبر العديد من الإجراءات، «أبرزها
يأتي:

(أ) الإشراف علىٰ عمليات نشر الوعى بمفهوم الفساد وبيان أخطاره وآثاره.

(ب) إجراء اتصالات مع وسائل الإعلام لحثها علىٰ التعاون والإسهام في نش
الوعى بمفهوم الفساد ونشر ثقافة حماية النزاهة.

(ج) وضع خطط لعقد مؤتمرات وندوات حول الشفافية والنزاهة ومكافح
الفساد، والإشراف علىٰ تنفيذها[3].

(٨) تشجيع برامج حماية النزاهة والوقاية من الفساد المالي والإداري:

---

(١) الاستراتيجية الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد؛ الأمر الملكي القاضي بإنشاء اله
الوطنية لمكافحة الفساد، تنظيم الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، مرجع سابق ص (١٦).

(٢) الدور الاحتسابي للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في حماية النزاهة ومكافحة الفساد في المما
العربية السعودية، مرجع سابق، ص (٣٠٨).

(٣) الدور الاحتسابي للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في حماية النزاهة ومكافحة الفساد في المما
العربية السعودية، مرجع سابق، ص (٣٠٨، ٣٠٩).

Scanned with CamScanner

وتسعىٰ الهيئة لتفعيل هذا الأسلوب من خلال القيام بعدة إجراءات، أبرزها ما يلى:

(أ) تشجيع القطاعين العام والخاص علىٰ تبنى خطط لحماية النزاهة ومكافحة الفساد.

(ب) العمل مع الغرف التجارية والصناعية علىٰ إعداد برامج تثقيفية لمنسوبيها.

(ج) تقييم فاعلية برامج حماية النزاهة ومكافحة الفساد المنفذة من مؤسسات المجتمع المدني[1].

وبعد، فهذا جزء من إسهامات هيئة الرقابة ومكافحة الفساد وجهودها في مكافحة الفساد المالى والإداري بجميع صوره وأشكاله، وسبل الوقاية من هذه الظاهرة، ويتضح منها أن الهيئة تعد من أهم المؤسسات الرقابية التى تسهم - بفضل الله تعالىٰ- في تحقيق الوقاية من تلك الظاهرة التى بانتشارها واستمرارها تعصف بالدول واقتصاداتها.

---

(١) الدور الاحتسابي للهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في حماية النزاهة ومكافحة الفساد في المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص (٣١٥، ٣١٦).

Scanned with CamScanner

سابعاً: التزكية: تعريفها، وأدلتها، ومجالاتها، وآثارها.

أولًا: التزكية في اللغة والاصطلاح:

التزكية في اللغة: مصدر من زكّىٰ يُزَكّي تزكيةً، والزّكاة: الصَّلاح، تقول: رجلٌ زكيٌّ تقيٌّ، ورجالٌ أزكياءُ أتقياءُ[1]، وأصل المادّة يدلّ علىٰ الزّيادة والنّماء، كما قال ابن فارس[2].

التزكية في الاصطلاح: حث الناس علىٰ التزام الخير والقيام بالعمل الصالح، وتعويدهم إياه ومتابعتهم في تطبيقه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عن أمراض القلوب وشفائها: (والزكاة في اللغة: النماء والزيادة في الصلاح، يقال: زكا الشيء إذا نما في الصلاح، فالقلب يحتاج أن يتربىٰ فينمو ويزيد حتىٰ يكمل ويصلح، كما يحتاج البدن أن يربَّىٰ بالأغذية المصلحة له، ولا بدّ مع ذلك من منع ما يضرّه، فلا ينمو البدن إلَّا بإعطائه ما ينفعه ومنع ما يضره، كذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره، وكذلك الزرع لا يزكو إلا بهذا)[3].

والمراد من تزكية النفس هو مدحها والثناء عليها سواء من قبل ذات الشخص أو من غيره، وعليه فإن التزكية تنقسم إلىٰ قسمين من حيث المدح والذمِّ:

١-أمَّا النوع المذموم: هو تزكية الانسان لنفسه بالمدح لها والثناء عليها، وهذا محرم ومنهيٌّ عنه، يقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا

---

(١) ينظر: العين للفراهيدي (٥/ ٣٩٤).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٧).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٩٦).

Scanned with CamScanner

﴿اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣٢] قال ابن كثير في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: تمدحوها وتشكروها، وتمنوا بأعمالكم(١).

٢- **وأمَّا النوع الثاني:** وهو مدح لا بأس به وهو تزكية النفس بالأعمال الصالحة، وهو أن يزكي المسلم نفسه بطاعة الله ﷻ من الاعتقاد والقول والعمل. وترك جميع الذنوب والمعاصي»(٢).

ثانيًا: تزكية النفوس في القرآن والسنة وآثار السلف:

١- القرآن الكريم:

- أقسم الله ﷻ بأحد عشر قسما لأهميتها وما لها من مكانة عالية ومنزلة رفيعة قال تعالىٰ: في سورة الشمس من الآية الأولىٰ حتىٰ الآية السابعة عند قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [سورة الشمس: ١ - ١٠].

- أن من زكىٰ نفسه فأن الله قد أعد له أجرًا عظيمًا فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [سورة طه: ٧٥ - ٧٦].

- مهمة الرسل هي تزكية نفوس المدعوين قال الله عن نبينا محمد ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة: ٢].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٤٠).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٩٦-٩٨)، ينظر: تزكية النفس، إبراهيم الرحيلي مذكور في كلام شيخ الإسلام والأمر الثاني الإحالة لم تذكر.

Scanned with CamScanner

٢- السنة:

- النهي عن مدح الغير والقطع في تزكيته: عن خالد الحذاء عن عبالرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه قال: أَثْنَىٰ رَجُلٌ عَلَىٰ رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَانًا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَىٰ اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ»(١)

- بيان كنه التزكية وحقيقتها: عن عبد الله بن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ ﷻ وَحْدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَىٰ زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الْهَرِمَةَ وَلَا الدَّرِنَةَ وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَكِنْ مِنْ أَوْسَطِ أَمْوَالِكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهَا وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهَا، وَزَكَّىٰ نَفْسَهُ»، فَقَالَ رَجُلٌ: وَمَا تَزْكِيَةُ النَّفْسِ؟ فَقَالَ: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ ﷻ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»(٢)

٣- أقوال السلف:

- قول سفيان بن عيينة: كان أهل الصلاح يكتب بعضهم إلىٰ بعض بهذه الكلمات: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه.

- قول قتادة، وابن عيينة، وغيرهما قد أفلح من زكىٰ نفسه بطاعة الله،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: إذا زكىٰ رجل رجلًا كفاه برقم (٢٥١٩).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ١٠٤٦.

Scanned with CamScanner

وصالح الأعمال. وقال ابن المبارك: إن الصالحين كانت أنفسهم تواتيهم علىٰ الخير عفوا، وإن أنفسنا لا تواتيها إلا كرهًا[1].

ثالثًا: مجالات تزكية النفس

تزكية النفوس لا يمكن أن تكون إلا عن طريق الشرع المطهر، وقد أنزل الله تعالىٰ الكتب وأرسل الرسل لتزكية النفوس قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة: ٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن تزكية النفوس مُسَلَّم إلىٰ الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولَّاهم إياها، وجعلها علىٰ أيديهم دعوة وتعليمًا وبيانًا وإرشادًا... فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم، وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكىٰ نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة، التي لم يجئ بها الرسل؛ فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟ فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلىٰ تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلىٰ أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم، والله المستعان)[2] ومجالاتها هي:

١- تزكية النفس تكون بفعل الطاعات والأوامر: ومن أهما تصحيح التوحيد والاعتقاد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [سورة فصلت: ٦ - ٨].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه المقدسي ص٤٢٧

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٣٥٦.

Scanned with CamScanner

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوىٰ الحق من القلب، وذلك طهارته وإثبات إلهيته سبحانه، وهو أصل كل زكاة ونماء)... إلىٰ أن قال: (فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح هو التوحيد)[1].

ومنها إقامة الصلاة قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ فالصلاة وهي من أعظم ما تزكو به النفوس وقد شبه النبي ﷺ تطهير الصلاة للنفوس بتطهير الماء للأبدان، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ؟» قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا»**[2].

ومنها الصدقة والزكاة قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣].

قال الشيخ السعدي: (وفيها أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكىٰ حتىٰ يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوىٰ أدائها؛ لأن الزكاة والتطهير متوقف علىٰ إخراجها)[3].

٢-تزكية النفس تكون بترك المنكرات والمنهيات كلها. وعلىٰ رأسه الشرك

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٤٩

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفار (١/ ١١٢).

(٣) تفسير السعدي٣/ ٢٩٣

Scanned with CamScanner

بالله فهو من أعظم المنهيات، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتىٰ يزال عنها ما يناقضها، ولا يكون الرجل متزكيًا إلا مع ترك الشر، فإنه يدنس النفس ويدسيها)[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمقصود أن زكاة القلب موقوفة علىٰ طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة علىٰ استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [سورة النور ٢١]، ذكر ذلك سبحانه عقيب تحريم الزنا والقذف ونكاح الزانية، فدل علىٰ أن التزكي هو باجتناب ذلك)[2].

٣- **تزكية النفس تكون بمحاسبة النفس:** قال ابن القيم: (فإن زكاة النفس وطهارتها موقوف علىٰ محاسبتها، فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح البتة إلا بمحاسبتها..) إلىٰ أن قال: (فبمحاسبتها يَطَّلِعُ علىٰ عيوبها ونقائصها؛ فيمكنه السعي في إصلاحها)[3].

٤-**تزكية النفس تكون بالدعاء:** ولذلك كان من دعاء نبينا ﷺ: **«اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»**[4].

---

(١) ينظر: المجموع ١٠/ ٦٢٩.

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٤٩.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٥٧٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٤/ ٢٠٨٥).

Scanned with CamScanner

رابعًا: آثار تزكية النفس علىٰ الفرد والمجتمع.

- راحة البال وسكينة القلب وطمأنينته وانشراح الصدر وسعته قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٤].

- الفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس: ٩-١٠].

- الثبات علىٰ الدين قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧].

Scanned with CamScanner

ثانياً: القيم الحضارية في الإسلام

١-تعريف الحضارة:

- الحضارة لغةً:

قَالَ اللَّيْث: الحَضَر: خِلافُ البَدْو، والحاضرة: خِلافُ البادِيَة، وَأهل الحَضَر، وأَهْل البدو، والحاضِرَة: الَّذين حَضَرُوا الْأَمْصَار ومساكن الدِّيارِ الَّتِي يكون لَهُم بهَا قَرَار)[١] وهو من أهل الحضر، والحاضرة، والحواضر. وهو حضري بين الحضارة، وبدويّ بين البداوة. وهو بدوي يتحضر، وحضري يتبدىٰ)[٢].

- الحضارة اصطلاحًا:

يعتبر ابن خلدون أن الحضارة هي طور طبيعيّ من أطوار الطبيعة أو جيل من أجيالها، في حياة أي مجتمع من المجتمعات وهكذا البداوة أيضًا، ولكن البداوة أقدم، والبدو أصل الحضر، ويتحدث (ول ديورانت) عن الحضارة فيقول: هي نظام اجتماعي يعين الإنسان علىٰ الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخُلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق؛ لأنه إذا ما أمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلىٰ فهم الحياة

---

(١) تهذيب اللغة ٤/ ١١٧.

(٢) أساس البلاغة١/ ١٩٥.

Scanned with CamScanner

وازدهارها وباختصار الحضارة هي الرقي والازدهار في جميع الميادين والمجالات.

والقيم الحضارية -التي أدَّب بها القرآن الكريم والسنة الشريفة- أدب رباني أبهر العقول، وباتت مبهورة بهذا التشريع السماوي الذي يتفق مع الأدب الجم، والذوق الرفيع، والرقي الإنساني، وسمو المبادئ الإنسانية التي اصطفىٰ بها الله ﷻ هذه الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس)[1].

والقيم الحضارية كانت ـ ومازالت ـ عماد الدعوة وأصل الإسلام، فلولا انهيار القيم الحضارية في الجاهلية لما كانت البعثة النبوية التي أخرجت الناس من ظلمات الشرك، والظلم، إلىٰ نور الإيمان، والعدل، وفي الحديث أن: «وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»[2].

ولا بد للإنسان أن (يرجع إلىٰ القيم الحضارية في الإسلام التي حفزت العزائم إلىٰ صناعة الحضارة، فإذا كانت قصة حضارتنا قد بدأت باجتماع الكلمة فإن القيم الحضارية هي التي جمعت القلوب، قال تعالىٰ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٦٣][3].

ومن هذه القيم الحضارية:

---

(١) التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية - علي صبح ١/ ٢٠٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا - ٤/ ١١٤٩.

(٣) تفسير ابن كثير - ابن كثير - ج ٢ ص ٣٢٣.

Scanned with CamScanner

أولًا: العلم: تعريفه، وأدلته، ومجالاته، وآثاره.

أولًا: تعريف العلم لغةً واصطلاحًا:

العلم لغةً: مصدر قولهم: علم يعلم علما وهو مأخوذ من مادّة (ع ل م) الّتي تدلّ علىٰ أثر بالشّيء يتميّز بها عن غيره، قال الرّاغب: وعلّمته وأعلمته في الأصل واحد، والعلم نقيض الجهل، وعلمتُ الشّيء أعلمه علمًا: عرفته، وعلم الأمر وتعلّمه: أتقنه[1].

واصطلاحًا: هو: إدراك الشيء علىٰ ما هو عليه إدراكًا جازمًا[2].

وقال المناويّ رَحِمَهُ اللَّهُ: العلم: هو صفة توجب تمييزًا لا يحتمل النّقيض، أو هو حصول صورة الشّيء في العقل[3].

وقال أبو هلال العسكري: العلم هو اعْتِقَاد الشَّيْء علىٰ مَا هُوَ بِهِ علىٰ سَبِيل الثِّقَة[4].

ثانيًا: العلم في الكتاب والسنة وآثار السلف:

١ -القرآن الكريم:

- امتن علي البشر بأن جعل لهم السمع والبصر والفؤاد، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٠٩)، والمفردات للأصفهاني (٣٤٤).

(٢) ينظر: التعريفات للجرجاني (١٩١).

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعريف (٢٤٦).

(٤) الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن العسكري ص: ٨١، ٩٧.

Scanned with CamScanner

لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ٧٨]

- رفع الله ﷻ من شأن العلم والعلماء وأثنىٰ عليهم قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة الزمر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

- والعلم يرفع صاحبه درجات، كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد أخبر الله سبحانه في كتابه الكريم برفع الدرجات في أربعة مواضع:

- **أحدها:** قوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١١].

- **الثاني:** قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢-٤].

والثالث: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [سورة طه: ٧٥].

Scanned with CamScanner

والرابع: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٩٥-٩٦].

فهذه أربعة مواضع في ثلاثة منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، والرابع الرفعة بالجهاد، فعادت كلها إلىٰ العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدّين)[1].

- أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالدعاء للاستزادة من العلم، فقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤].
- العلم يرفع صاحبه حتىٰ ولو كان من الحيوان والبهائم، كما قال تعالىٰ في تفضيل الكلب المعلم وحلّ ما اصطاده: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة المائدة: ٤].
- افتتاح التنزيل القرآني والوحي الرباني بالقراءة والعلم، في قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [سورة العلق: ١ - ٥].

٢- السنة:

كان النبي ﷺ في ازدياد من العلم وحث الصحابة للنهل منه، فجاءت سيرته وأقواله دالة علىٰ ذلك، ومن النماذج:

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٥١.

Scanned with CamScanner

- جماع الخير في طلب العلم: قال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»(١) وقال ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»(٢).
- الأمر بطلب العلم: قال ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ»(٣).
- جريان أجر العلماء بعد مماتهم: قال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٤).
- بركة العلم وأهله: عن صفوان بن عسّال رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متّكئٌ علىٰ برد له أحمر فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، فقال: «مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّىٰ يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، مِنْ حُبِّهِمْ لِمَا يَطْلُبُ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين. (١/ ٢٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة ١/ ٣٩ ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ١/ ٥٥٨،

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب: فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، (١/ ٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٣٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان بعد موته ٣/ ١٢٥٥.

(٥) ينظر: سلسة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٣٣٩٧، صحيح الترغيب والترهيب للألباني ١/ ٣٤ رقم ٧١.

Scanned with CamScanner

- العلم طريق الجنان ورضىٰ الله الواحد الديّان: قال ﷺ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1].

٣-العلم في آثار السلف:

- قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «تعلّموا العلم، وعلّموه النّاس وتعلّموا له الوقار والسّكينة وتواضعوا لمن تعلّمتم منه ولمن علّمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم»[2].

- وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لرجل من أصحابه: يا كميل: «العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النّفقة، والعلم يزكو بالإنفاق»[3].

-وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أغد عالما أو متعلّما، ولا تغد بين ذلك»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن ٤/ ٢٠٧٤.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٣٥).

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١/ ١٧، ١٨).

(٤) أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب في كتاب العلم (٦).

Scanned with CamScanner

ثالثًا: مجالات العلم:

لقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ العلم الشّرعي المطلوب إلىٰ ثلاثة أقسام:

١. العلم بالله وأسمائه وصفاته وما يتبع ذلك، في مثل إنزال سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوهما.

٢. العلم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية، وما يكون من الأمور المستقبلية، وما هو كائن في الأمور الحاضرة، وفي مثل هذا أنزل الله آيات القصص والوعد والوعيد وصفة الجنة والنار ونحو ذلك.

٣. العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح، والإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها وأقوال الجوارح وأعمالها، وهذا العلم يندرج فيه العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام، ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة[1].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: العلم ضربان:

أ. ضرب منه فرض عين لا يسع مسلما جهله وهو أنواع:

النوع الأول: علم أصول الإيمان الخمسة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإن من لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل في باب الإيمان.

النوع الثاني: علم شرائع الإسلام، واللازم منها علم ما يخص العبد من فعلها، كعلم الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ٣٩٧.

Scanned with CamScanner

ومبطلاتها.

النوع الثالث: علم المحرمات الخمسة التي اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الإلهية، وهي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣].

النوع الرابع: علم أحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصل بينه وبين الناس خصوصًا وعمومًا، والواجب في هذا النوع يختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم، فليس الواجب علىٰ الإمام مع رعيته كالواجب علىٰ الرجل مع أهله.

ب - وضرب فرض الكفاية: فهو كفرض العين في تعلقه بعموم المكلفين، وإنما يخالفه بسقوطه عن البعض[1].

رابعًا: أثار العلم علىٰ الفرد والمجتمع:

أما أثار العلم فكثيرة جدًّا منها:

- أنه سلاح ضد الشرك والجهل والبدعة والمعاصي وتضليل إبليس وإغوائه.
- أنه من ميراث النبوة فمن أخذ به أخذ بحظ وافر.
- العلم يحمي صاحبه، ويبقىٰ معه في حياته، وينفعه بعد مماته.
- العلم تشيد به الأمم وتبقي.

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٦.

Scanned with CamScanner

وقال غيره بأنّه: وضعٌ إلهيٌّ سائقٌ لذوي العقول باختيارهم إلىٰ الصلاح في الحال والفلاح في المآل[1].

وعرفه الدكتور محمد عبد الله دراز: بأنه ما شرعه الله علىٰ لسان نبيه من الأحكام، وسمىٰ دينًا لأننا ندين به وننقاد له[2].

ثانيًا: الدِّين في الكتاب والسنة وآثار السلف

١-القرآن الكريم:

- الوصية بالدين وبتوحيد ربّ العالمين: قال الله تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٢].

- تشريع الجهاد لحفظ بيضة الدين: قال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٣].

- الدعوة إلىٰ دين الله لا تكون بالإكراه: قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

---

(١) مجلة المنار (١/ ٧٦٤).

(٢) انظر: الدين ٢٨.

Scanned with CamScanner

- نسخ الإسلام لجميع الأديان: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣٣].

- الأمر بإخلاص الدين لربّ العالمين: قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٩].

٢- السنة:

- إخبار النبي ﷺ بأن هو الإخلاص والنصيحة: فعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**(١).

- الدين قد يؤيد بالفاجر: قال ﷺ: **«وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ»**(٢).

- من أعظم مقاصد الدين وخصائصه التيسير علىٰ العباد: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ،**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، (١/ ٧٤)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: إنّ الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر (٤/ ٧٢)

Scanned with CamScanner

فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[1].

- إن من أعظم الودائع التي يُستوصىٰ بحفظها الدين: كما فِي دُعاء السَّفَرِ «أَسْتَودِعُ اللهَ دِينَكَ وأمانَتَك»[2].

- الأمر بقتل من بدّل دينه وارتدّ: لقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[3].

- إن من أعظم ما يهدم الدين البدع: فقد جاء في وصف الخوارج أنهم: «يَمْرُقُون مِنَ الدِّينِ مُروقَ السَّهم مِنَ الرَّمِيَّة»[4].

٣-آثار السلف:

- قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ: «لَا تَأْخُذَنَّ دِينَكَ إِلَّا مِمَّنْ هُوَ مُشْفِقٌ عَلَىٰ دِينِهِ، فَإِنَّ مَثَلَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُشْفِقٍ عَلَىٰ دِينِهِ كَمَثَلِ طَبِيبٍ بِهِ دَاءٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعَالِجَ دَاءَ نَفْسِهِ وَيَنْصَحَ لِنَفْسِهِ، كَيْفَ يُعَالِجُ دَاءَ النَّاسِ وَيَنْصَحُ لَهُمْ؟ فَهَذَا الَّذِي لَا يُشْفِقُ عَلَىٰ دِينِهِ كَيْفَ يُشْفِقُ عَلَىٰ دِينِكَ؟ وَيَا أَخِي، إِنَّمَا دِينُكَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر (١/ ١٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب: في الدعاء عند الوداع (١٤/ ٢٤١). والترمذي، في جامعه كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب: ما يقول إذا ودع إنسانًا (٥/ ٣٧٦). وابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، باب: تشييع الغزاة ووادعهم وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله (٤/ ٦١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناق، باب: علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، (٢/ ٧٤١).

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٨٢.

Scanned with CamScanner

- قال ابْن المُبَارَكِ: «الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ»[1].

ثالثًا: مجالات الدين.

الدين له مجالات عدّة وأقسام متنوعة، فمن حيث المصدرية يقسّم إلىٰ قسمين:

١-الديانات السماوية:

والمقصود بها هي الأديان التي أنزلها الله سبحانه علىٰ رسله، ومنها اليهوديّة، والنصرانية، والإسلام، والمقصود بالدين السماوي أي الشرائع التي شرعها الله ﷻ وأنزلها علىٰ رسله ليبلغوا أقوامهم بها ويعبدون الله تعالىٰ بها... ولا شك أن جميع الديانات قد نسخت بالدين الإسلامي.

٢-الديانات الوضعية:

والمقصود بها هي الأديان التي اختلقها الناس من عند أنفسهم، واجتهدوا في تقريرها من خلال نظرتهم القاصرة، وفي الحقيقة ليست دينًا يتعبد الله به وإنما هي أفكار وخرافات وضعها الإنسان حتىٰ يشبع غريزته الفطرية للتعبد لشي معين، وقد ركّزت بعض هذه الأديان علىٰ تهذيب أخلاق الإنسان والسّمو بها مثل البوذيّة، بينما ركزت أديان أخرىٰ علىٰ الشّرائع والأحكام مثل الهندوسيّة وغيرها.

ومن حيث مضامينه، يقسّم إلىٰ الإسلام والإيمان والإحسان، كما جاء في حديث جبريل المشهور، عن عُمَر بْن الْخَطَّاب قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٥.

Scanned with CamScanner

ﷺ ذَاتَ يَوْم؛ إذ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: **يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: **فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: **فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**، قَالَ: **فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»** قَالَ: **فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ»**، قَالَ: **ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟»** قُلْتُ: **اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»**[1].

رابعًا: آثار الدين علىٰ الفرد والمجتمع:

- تحقيق مراد الله تعالىٰ من إرسال الرسل وإنزال الكتب
- تحقيق المساواة والعدل بين البشر، وذلك بمعرفة الحقوق لجميع المخلوقات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قوله: إن الله عنده علم الساعة (٦/ ١١٥)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: معرفة الإسلام والإيمان والقدر وعلامة الساعة، (١/ ٣٦).

Scanned with CamScanner

- انتشار هذا الدين وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ**»، وقال ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ** -أي: طين- **وَلَا وَبَرٍ** -أي: غزل- **إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ**».
- التمكين في الأرض لمن تمسك بالدين الإسلامي.

Scanned with CamScanner

ثالثًا: البرّ، تعريفه، وأدلته، ومجالاته، وآثاره.

أولًا: تعريف البرّ لغةً واصطلاحًا

البرّ لغةً: مصدر برّ يبرّ وهو مأخوذ من مادّة (ب ر ر) الّتي تدلّ علىٰ معان عديدة، ومن هذه المعاني الصّدق، يقول ابن فارس: «فأمّا الصّدق فقولهم: صدق فلان وبرّ، وبرّت يمينه صدقت، وأبرّها أمضاها علىٰ الصّدق، وتقول برّ الله حجّك وأبرّه، وحجّة مبرورة أي قبلت قبول العمل الصّادق[1]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

وقال القرطبيّ في تفسير هذه الآية: البرّ هنا اسم جامع للخير، ومن معاني البرّ أيضًا حسن الخلق كما جاء في الحديث «البرّ حسن الخلق» والبرّ الخير[2].

البرّ اصطلاحًا:

اختلف العلماء -رحمهم الله- في تفسير البرّ فقال بعضهم: البرّ الصّلاح، وقال بعضهم: البرّ الخير، قال ابن منظور: ولا أعلم تفسيرًا أجمع منه؛ لأنّه يحيط بجميع ما قالوا[3].

وقال أبو منصور: البرّ خير الدّنيا والآخرة فخير الدّنيا ما ييسّره الله تعالىٰ للعبد من الهدىٰ والنّعمة والخيرات، وخير الآخرة الفوز بالنّعيم الدّائم في الجنّة،

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (١/ ١٧٦).

(٢) تفسير القرطبي ٢/ ٢٣٨.

(٣) ينظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٥٨٨) والنهاية لابن الأثير (١/ ١١٦). ولسان العرب لابن منظور (٤/ ٥١- ٥٤)

Scanned with CamScanner

جمع الله لنا بينهما بكرمه ورحمته[1].

قال الإمام ابن تيميّة $: لفظ البرّ إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به... وأيضًا فإنّ البرّ إذا أطلق كان مسمّاه مسمّىٰ التّقوىٰ، والتّقوىٰ إذا أطلقت كان مسمّاها مسمّىٰ البرّ ثمّ قد يجمع بينهما كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: ٢][2].

ثانيًا: البرّ في الكتاب والسنة وآثار السلف:

١- في القران الكريم

لقد وردت عبارة البرّ في القرآن الكريم بعبارات متنوعة، ومن أشهرها:

- البر بمعنىٰ الطاعة وفعل الخيرات: من ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]. وقوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٩٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ

---

(١) ينظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١١٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ ٧/ ١٦٥.

Scanned with CamScanner

وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [سورة المجادلة: ٩].

- البر بمعنىٰ صلة الرحم: قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: ٨].
- البر من صفات المولىٰ ﷻ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة الطور: ٢٨].
- البر من صفات الملائكة الكرام: قال الله تعالىٰ: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [سورة عبس: ١٦].

٢- السنة:

- وقد جاء لفظ البر بصيغة متعددة صريحة تارة وبالمعنىٰ تارة أخرىٰ، وهي تأخذ معنىٰ البر، ومن تلك الأحاديث:
- البرّ هو التيسير علىٰ الخلق: عن ابن عبّاس رضي الله عنهما **أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا، وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلْإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»**[1].
- البر هو حسن الخلق: عن النّواس بن سمعان رضي الله عنه قال: **سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَنِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ،**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب: أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة، وإشارته إليهم بالسوط (٢/ ١٦٤). ومعنىٰ الإيضاع: الإسراع.

Scanned with CamScanner

وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[1].

- الصدق من أعظم وسائل تحصيل البرّ: وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[2].

- البرّ في العبادة يكون باجتناب المحظور وإقام المأمور: عن جابر رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ» قَالَ: وَمَا بِرُّهُ؟ قَالَ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ»[3].

- من أعظم البرّ الإحسان إلىٰ الناس وجميع الخلق وكف الأذىٰ عنهم: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تفسير البر والإثم (٤/ ١٩٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، بكتاب البر والصلة والآداب، اب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم٨٤٠٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إطعام الطعام من الإسلام (١/ ١٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل (١/ ٦٥).

Scanned with CamScanner

عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[1].

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ»[2].

٣- آثار السلف:

- عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: «توشك القرى أن تخرب وهي عامرة. قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجّارها أبرارها وساد القبيلة منافقوها»[3].
- عن الحسن البصريّ رحمه الله قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قال: كانوا يعملون ما عملوا من أنواع البرّ وهم مشفقون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب: فضل سقي الماء (٣/ ١١١)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (٤/ ١٧٦١).

(٢) أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن البصاق في المسجد (١/ ٣٩٠).

(٣) ذكره ابن القيم في الجواب الكافي، ص ٥٣.

(٤) أخرجه وكيع في كتاب الزهد ١/ ٣٩٠.

Scanned with CamScanner

ثالثًا: أنواع البر ومجالاته:

قال الإمام الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: **والبرّ نوعان**: صلة، ومعروف.

أ. فأمّا الصّلة: فهي التّبرّع ببذل المال في الجهات المحدودة لغير عوض مطلوب، وهذا يبعث عليه سماحة النّفس وسخاؤها، ويمنع منه شحّها وإباؤها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩].

ب. وأمّا النّوع الثّاني من البرّ فهو: المعروف: ويتنوّع أيضًا نوعين: قولًا وعملًا.

فأمّا القول: فهو طيب الكلام وحسن البشر، والتّودّد بجميل القول، وهذا يبعث عليه حسن الخلق، ورقّة الطّبع، ويجب أن يكون محدودا كالسّخاء؛ فإنّه إن أسرف فيه كان ملقًا مذمومًا وإن توسّط واقتصد فيه كان معروفًا وبرًّا محمودًا.

وأمّا العمل: فهو بذل الجاه والمساعدة بالنّفس والمعونة في النّائبة، وهذا يبعث عليه حبّ الخير للنّاس وإيثار الصّلاح لهم، وليس في هذه الأمور سرف ولا لغايتها حَدّ بخلاف النّوع الأوّل؛ لأنّها وإن كثرت فهي أفعال خير تعود بنفعين: نفع علىٰ فاعلها في اكتساب الأجر وجميل الذّكر، ونفع علىٰ المعان بها في التّخفيف عنه والمساعدة له[1].

رابعًا: آثار البر علىٰ الفرد والمجتمع.

---

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين للماوردي (١٨٤ و٢٠٠- ٢١٥).

Scanned with CamScanner

- أنه طريق موصل إلىٰ الجنّة، ومن أسباب سعادة المرء في الدّارين.

- زيادة في العمر وبركة في المال والنّسل، ونيل محبّة النّاس ومحبّة الله ﷻ.

- البرّ يؤدّي إلىٰ الألفة وشيوع روح المحبّة في المجتمع.

- البرّ إحدىٰ الصّفات التي لا تكتمل مكارم الأخلاق إلّا بها وهو أعلىٰ درجات الصّدق.

- بالبرّ تطمئنّ النّفوس الحائرة وتهدأ القلوب الفزعة وتستقرّ الجماعات[1].

---

[1] ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ٧٦٦).

Scanned with CamScanner

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعريفه، وأدلته، ومجالاته، وآثاره.

أولًا: المراد بهما لغةً واصطلاحًا

المعروف لغةً: هو ما تعرفه النّفس من الخير وتطمئنّ إليه، والعرف، والمعروف واحد ضدّ النّكر وهو ما عرف بالشرع .

والمنكر لغةً: ضدّ المعروف، وهو كلّ ما قبّحه الشّرع وحرّمه وكرهه[1].

والمعروف اصطلاحًا: اسم جامع لكلّ ما عرف من طاعة الله والتّقرّب إليه، والإحسان إلىٰ النّاس، وكلّ ما ندب إليه الشّرع، ونهىٰ عنه من المحسّنات والمقبّحات. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بأنه: (هو اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه)[2]

والمنكر اصطلاحًا: كلّ ما قبّحه الشّرع وحرّمه ونهىٰ عنه[3].وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: المنكر: (ما عرف قبحه شرعًا وعقلًا)[4]،

وقيل في تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف: الإشارة إلىٰ ما يرضي الله تعالىٰ من أقوال العبد وأفعاله.

والنّهي عن المنكر: تقبيح ما تنفّر عنه الشّريعة والعفّة وهو ما لا يجوز في

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٣٩، ٢٤١).

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص ١٦ .

(٣) التعريفات للجرجاني (٣٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٤٠٦ .

Scanned with CamScanner

شرع الله تعالىٰ[1].

ثانيًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الكتاب والسنة وآثار السلف

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منزلة عظيمة ومكانة عالية، وقد نوّه الله تعالىٰ بأمره في الكتاب العزيز، وأكد ذلك السنة النبوية الشريفة، ومن الآيات الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يأتي:

- إخبار الله -جل وعلا- أن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم أهل الفلاح: قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤].

-إن خيرية الأمة بمجموعها وأفرادها مرتبطة بإقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم خصال المؤمنين: قال تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٤١]

- حكاية بعض وصايا المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال

---

(١) ينظر المرجع السابق (٤٧).

Scanned with CamScanner

تعالىٰ في وصية لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة لقمان: ١٧].

- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من أسباب التمكين لهذه الأمة: قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة الحج: ٤١].

- النهي من مخالفة الآمر لما يأمر به وينهىٰ عنه: قال تعالىٰ: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٤].

- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بنصح الناس سبب من أسباب النجاة: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [سورة العصر: ١-٣].

٢-السنة:

وردت أحاديث صحيحة صريحة أو في معناها في السنة النبوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك:

- من موانع إجابة الدعاء تضييع شعيرة الأمر بالمعروف والنهي هن المنكر: عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ،**

Scanned with CamScanner

وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلَا يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[1].

- من أوجه شكر النعم، القيام بشعيرة الأمر بالمعروف: وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ حَمْرَاءَ فِي نَحْوٍ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا فَقَالَ: «إِنَّهُ مَفْتُوحٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ مَنْصُورُونَ مُصِيبُونَ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ وَمَثَلُ الَّذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ كَمَثَلِ الْبَعِيرِ يَتَرَدَّى فَهُوَ يَمُدُّ بِذَنَبِهِ»[2].
- هلاك الأمة في تركها لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ» ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَٰسِقُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا»[3]

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢/ ١٣٢٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ١٧٥).

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب الملاحم، باب: الأمر والنهي (٤/ ١٢١).

Scanned with CamScanner

- مما يسدّد ولاة الأمر البطانة الآمرة بالمعروف: عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَىٰ»(١).
- من موجبات العقوبات العامة: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»(٢).
- تمام الدين النصح للمسلمين: عن جرير بن عبد الله البجليّ رضي الله عنه قال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»(٣).
- من علامات أهل البدع والضلال مخالفة الأقوال للفعال: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب: المعصوم من عصم الله (٨/ ١٢٥).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤/ ٤٦٨).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب: البيعة علىٰ إقامة الصلاة، (١/ ١٩٦) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة: لله ولرسوله... (١/ ٢١).

Scanned with CamScanner

جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[1].

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منوط بالاستطاعة: عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَىٰ مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[2].

٣-آثار السلف:

- قال الحسن البصريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، وإلّا كنتم أنتم الموعظات[3].

- قال سفيان الثّوريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهىٰ عن المنكر إلّا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهىٰ، عدل بما يأمر، عدل بما ينهىٰ، عالم بما يأمر، عالم بما ينهىٰ»[4].

- قال سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ «إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق»[5].

- سئل الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ عن الآمر بالمعروف والنّاهي عن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص... (١/ ٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/ ٦٩).

(٣) الموعظات: أي: يوعظ بكم غيركم لما يحل بكم من سخط الله ولعنته بسبب إهمال هذا الأصل، وانظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلّال (٤٩).

(٤) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلّال (٤٦)

(٥) ينظر: المرجع السابق.

Scanned with CamScanner

المنكر كيف ينبغي أن يأمر؟ قال: «يأمر بالرّفق والخضوع، ثمّ قال: إن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد ينتصر لنفسه»[1].

ثالثًا: مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أما مجالات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو ظاهر في تعريفه، فالأمر يكون في الامتثال بكل فعل أو قول حسن جميل، والنهي عن المنكر؛ أي: كلّ قبيح ورديءٍ داخل في سخط الله تعالىٰ.

كما أن الأمر بالمعروف يكون في كل مجالات الحياة، فيكون في باب الاعتقادات والعبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها.

١- **أما في باب الاعتقاد**، فقد أمر نبي الله إبراهيم عليه السلام أباه بالمعروف ونهاه عن كلّ شرّ، وأحسن المعروف ما كان في إثبات الاعتقاد ووحدانية الرب وطاعته، وأشر الشر ما كان في سخط الله تعالىٰ، وهو الشرك به في عبادته وطاعته ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤١-٤٥] وقول النّبي ﷺ للرّجل -حينما قال: ما شاء الله وشئت-: «**أجعلتني لله ندًّا قل: ما شاء الله وحده**»، فعن جابر: «**أَنَّ رَجُلًا، أَتَىٰ النَّبِيَّ**

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ص: ٥٢).

Scanned with CamScanner

ﷺ فَكَلَّمَهُ فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ، يَعْنِي وَشِئْتَ، فَقَالَ: وَيْلَكَ أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[1].

بل من أجله بعثت الأنبياء وأرسلت الرّسل، وعليه دعوا الله تعالىٰ، وقرّروه، والأنبياء إخوة لعلاّت، أمهات شتىٰ، ودينهم واحدٌ.

٢- **وفي باب العبادات:** قول النبي ﷺ للمسيء صلاته: فعن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ المَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّىٰ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّىٰ، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»[2].

وقوله لمن سمعه وهو يلبي عن أخيه شبرمه، قَالَ: «حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ»[3].

٣- **وفي باب الأخلاق والمعاملات:** قوله ﷺ لمن خلط بين التّمور

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ (٩/ ٣٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت (١/ ١٥٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها (١/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب المناسك، باب: الرجل يحج عن غيره (٢/ ١٦١).

Scanned with CamScanner

الرّديئة والجميلة، «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[1].

رابعًا: آثار الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر علىٰ الفرد والمجتمع:

إذا قامت الأمة بالأمر بالمعروف ونهت عن المنكر وفق مراد الله فإنه يتحقق لها من الآثار والفوائد العظيمة ما يحسن حالها في الحال والمآل، ومن الآثار الناجمة في ذلك ما يأتي:

- أنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر صمّام أمن الحياة وضمان سعادة الفرد والمجتمع بل والإنسانية.

- إن الأمر بالمعرف والنهي يثبّت معاني الخيرية والصّلاح في الأمّة؛ إذ هو سرّ أفضليّة هذه الأمّة. لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يزيل عوامل الشّرّ والفساد من حياتها ويقضي عليها أوّلًا فأوّلًا حتّىٰ تسلم الأمّة وتسعد فيكون هو سببًا للنّجاة في الدّنيا والآخرة.

- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُهَيِّئُ الجوّ الصّالح الّذي تنمو فيه الآداب والفضائل وتختفي فيه المنكرات والرّذائل ويتربّىٰ في ظلّه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا» (١/ ٩٩).

Scanned with CamScanner

الضّمير العفيف والوجدان اليقظ.

- إنه يكوّن الرّأي العامّ المسلم الحرّ الّذي يحرس آداب الأمّة وفضائلها وأخلاقها وحقوقها ويجعل لها شخصيّةً وسلطانًا هو أقوىٰ من القوّة وأنفذ من القانون.

- إنه يَبعث الإحساس بمعنىٰ الأخوّة والتّكافل والتّعاون علىٰ البرّ والتّقوىٰ واهتمام المسلمين بعضهم ببعض فيكون سببًا للنّصر والتّمكين في الدّنيا[1].

- إن تركه سبب للعقوبة والهلاك فعن أبي بكر الصديق، أنه خطب فقال: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية، وتضعونها علىٰ غير ما وضعها الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥] سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الناس إذا رأوا المنكر بينهم، فلم ينكروه، يوشك أن يعمهم الله بعقاب»**[2].

---

(١) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للخلّال (٥٥) ونضرة النعيم (٣/ ٥٣٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٢١).

Scanned with CamScanner

خامساً: الاستخلاف، تعريفه وأدلته، ومجالاته، وآثاره.

أولًا: التعريف بالاستخلاف لغةً واصطلاحًا:

الاستخلاف لغةً:

الاستخلاف في اللغة مصدر للفعل(استخلف) ووزنه (استفعل)، وفعله الثلاثي المجرد (خلف)، الذي مصدره (خلافة)، واستخلف فلان فلانا: جعله مكانه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢]، فالمستخلف يتبع ما قبله ويأتي بعده(١).

أصل الاستخلاف في اللغة من (خلف)، وله -كما قال ابن فارس: (أصول ثلاثة، أحدها: أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثّاني: خلاف قدام، والثالث: التغير؛ فالأول: الخلف، والخلف: ما جاء بعد، ويقولون: هو خلف صدق من أبيه، وخلف سوء من أبيه؛ فإذا لم يذكروا صدقا ولا سوءا، قالوا للجيد: (خلف)، وللردّي: (خلف)(٢).

وقال الفيروز آبادي: (الخالفة: الأمة الباقية بعد الأمة السالفة والخليفة: السلطان الأعظم... كالخليف (وجمعه) خلائف وخلفاء، وخلفه خلافة: كان خليفته، وبقي بعده)(٣).

---

(١) ينظر: لسان العرب ابن منظور (١٢/ ٦٣٨). وتاج العروس (٢٣/ ٢٧٤)،

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢/ ٤٣٢.

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي، ٣/ ١٤٣.

وقال الراغب الأصفهاني: الخلافة: النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف، وعلىٰ هذا الوجه الأخير: استخلف الله أولياءه في الأرض، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة فاطر: ٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سورة هود: ٥٧][1].

الاستخلاف اصطلاحًا:

- قيل: الاستخلاف: وهو نصب الإمام علىٰ كل حال حسب الاستطاعة لئلا يبقي القوم فوضي، وانتخاب الأصلح بمعيار العلم، والحفظ، وتفويض الأمر إلىٰ من لا يبتغيه إلا من يطلبه لابتغاء مرضاة الله[2].
- وقيل: عبادة طوعية لله بالتزام هديه وشرائعه ينشأ عنها ضبط للسلوك الإنساني في علاقته مع الله وعلاقته بالكون والمخلوقات؛ بحيث تسير الحياة الإنسانية ضمن إطار الصلاح.

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٩٤).

(٢) مباني الخلافة والسياسة الدينية وغاياتها، للشيخ المقري محمد طيب بن الحافظ محمد أحمد القاسمي ص: (١٥٩)

- وقيل: الخلافة تطلق في العرف العام على الزعامة العظمى وهي الولاية العامة على كافة الأمة والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها[1].

- والعلماء مجمعون قاطبة على أنّ الخليفة يجوز له الاستخلاف ويجوز له تركه، كما أجمعوا على انعقادها بالاستخلاف[2].

- قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: "فالاستخلاف سنّة، اتفق عليها الملأ من الصحابة، وهو اتفاق الأمّة، ولم يخالف فيه إلا الخوارج المارقة، الذين شقوا العصا، وخلعوا ربقة الطاعة"[3].

- وللاستخلاف ثلاث طرق ذكرها العلماء:

- فالطريقة الأولى: وهي أن يعيّن الخليفة عند موته أو قبل ذلك خليفةً بعده، وأوّل مثال في عهد الإسلام لهذه الطريقة الشرعيّة: هو استخلاف أبي بكر الصديق لعمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[4]، وقد جاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: **« فَإِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي -يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ- وَإِنْ أَتْرُكْكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهِ ﷺ»**[5].

---

(١) مآثر الإنافة في معالم الخلافة لأحمد بن عبد الله القلقشندي (ل ٢/ ١٣٢).

(٢) وممن نقل الإجماع على ذلك: الخطابي في معالم السنن (٤/ ١٩٨-١٩٩)، وابن حزم في مراتب الإجماع (ص: ١٢٦)، والجويني في غياث الأمم (ص: ٣٠)، والقاضي عياض في إكمال المعلم (٦/ ٢٢٠)، وأبو العباس القرطبي في المفهم (٤/ ١٥)، وابن قدامة في المغني (١٢/ ٢٤٣)، والنووي في شرح مسلم (١٢/ ٤١٠)، والعراقي في طرح التثريب (٨/ ٧٤-٧٥)، وصديق حسن خان في السراج الوهاج (٧/ ٢٥٣).

(٣) معالم السنن للخطابي (٤/ ١٩٨-١٩٩).

(٤) وروى المؤرخون في ذلك أخبارًا، راجع تفصيل ذلك في تاريخ الطبري (٣/ ٤٢٨-٤٣٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: الاستخلاف وتركه (٣/ ١٤٥٤).

- الطريقة الثانية: هي أن يجعل الإمام الأول الأمر في جماعة لا يخرج عنهم من غير تخصيص لواحد بعينه[1]، ومثال ذلك ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع النفر الستة من الصحابة وهم: عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف، حيث جعل أمر الخلافة شورىٰ بينهم ولا يَعْدوهم، فاختاروا عثمان وعقدوا له البيعة، ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة -رضوان الله عليهم- فكان إجماعًا منهم[2].

- أما الطريقة الثالثة: فهي أن يجعل الخليفة ولاية العهد بعده لرجل، ثم يقول: فإن مات قبل موتي فإن الولاية لفلان -رجل آخر يستحق ذلك-، فإن مات المولىٰ أولًا فالعقد الثاني ثابت[3]، ودليل ذلك ما جاء عن النبي ﷺ في غزوة مؤتة أنّه رتّب الإمارة وجعلها بين ثلاثة علىٰ التوالي، فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ»[4].

قال الماوردي رحمه الله: "ولو عهد الخليفة إلىٰ اثنين أو أكثر ورتب الخلافة فيهم، فقال: الخليفة بعدي فلان، فإن مات فالخليفة بعد موته فلان، فإن مات فالخليفة بعده فلان؛ جاز وكانت الخلافة متنقلة إلىٰ الثلاثة علىٰ ما رتّبها"[5].

---

(١) ينظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ١٩٩)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٦٨)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٢/ ٤١٠).

(٢) وقصة الاستخلاف، رواها البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: قصّة البيعة (٧/ ٥٩-٦٣، ٦٢.

(٣) ينظر: شرح ابن بطال لصحيح البخاري (٥/ ٢٢٣)، وتحرير الأحكام لابن جماعة (ص: ٥٤-٥٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب: غزوة مؤتة من أرض الشام (٧/ ٥١٠، ٦٤.

(٥) الأحكام السلطانية للماوردي (ص: ١٥).

ثانيًا: الاستخلاف في الكتاب والسنة:

١-القرآن الكريم:

- الخلافة في الأرض تكون للإنسان بمشيئته -جل وعلا-: قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]. وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس: ١٤].

- الخلاف عاقبة المتقين: قال تعالىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٩].

- الاستخلاف وعد من الله للمتقين: قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٥٥]. وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٢]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٤].

٢- السنة النبوية:

- عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ»(١).

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»(٢).

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(٣).

ثالثًا: مجالات الاستخلاف:

١- **استخلاف الإنسان على نفسه**، حيث أمر الإسلام بحفظ النفس، ورفعت من شأنها، وحرمت قتلها من غير سبب قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٤/ ٢٠٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام (١٣/ ١٢١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام (١٣/ ١٢١، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء (٣/ ١٤٦٩).

كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

٢- **بل وحرم كل ما هو سبب في إتلافها أو الضرر بها**، قال الله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١٩].

٣- **الإنسان مستخلف بعلمه**، ودعت الشريعة الإسلامية الإنسان للعلم ورغبته فيه، ورفعت من منزلة العلم وقدره وفضله.

٤- **استخلاف الإنسان بماله**، قال الله تعالىٰ: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٧]، باستثماره والمحافظة عليه وحفظه وأوجه اكتسابه وإنفاقه ذلك أن المسلم ينظر إلىٰ المال علىٰ أنه مستخلف فيه من قبل مالكه الحقيقي ﷻ، استخلفه فيه عمن سبقه بفضله وكرمه، وسيستخلف فيه من يأتي بعده، ومن ثم فإن عليه القيام بحق هذا الاستخلاف المنوط به[1].

٥- **الإنسان مستخلف للعبادة الله ﷻ**، وقد أكدت نصوص الشريعة بما لا يدع مجالًا للشك علىٰ أن وجود الإنسان لم يكن عبثًا وليس خاليًا من الهدف أو مفرغا من الغاية، وأكدت مرارًا علىٰ أن وجوده إنما كان

لتحقيق هدف محدد وغاية مقصوده، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥]، ولهذا يوجه الله اللوم والإنكار علىٰ الذين كفروا برسله، قال الله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [سورة القيامة: ٣٦].

فإذا كان الإنسان لا بد أن تكون له مهمة في هذا الوجود، فلا بد أن تكون عالية شريفة؛ لأن الله تعالىٰ هو الذي أرادها وهو الذي حددها. أن الهدف الذي من أجله أوجد الإنسان يتنوع إلىٰ ثلاثة أنواع:

- الأول: إعمار الأرض.
- والثاني: العبادة.
- والثالث: الخلافة[1].

رابعًا: آثار الاستخلاف علىٰ الفرد والمجتمع:

١- **تحقيق الإيمان والتوحيد الخالص**: ذلك أن تحقيق التمكين الموعود إنما هو بتحقيق الإيمان والتوحيد الخالِص، الصافي من كل شِرك في العبودية مع الله -تعالىٰ- من الأنداد والأضداد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٥٥].

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة، الراغب الاصفهاني، صفحة ٩٠.

٢- **تحقيق الطاعة المطلَقة لله ورسوله وتحقيق العبودية**: في كل كبير وصغير من شؤوننا، وعدم الإعراض والتولي، وأيضًا تحقيق العبودية بإقامة الصلاة والعبادة، وإيتاء الزكاة والصدقة في حال قبل التمكين، وبعده لدوام استمراريته. قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: ٥١]. وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»**(١).

وعن أبي نَجِيح العِرباض بن سارية رضي الله عنه قال: **وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه -كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة- باب: الاقتداء بسنن الرسول ﷺ/ ١٣٢.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن كتاب السنة، باب: في لزوم السنة (٥/ ١٣-١٥)، والترمذي في الجامع

٣- **تحقيق العمل الصالح النافع للأمة والجماهير الغفيرة المحتاجة**، من عمِل الخيرات، وإخراج الزكوات والصدقات، وقيام الجمعيات الخيرة والخيرية في الأحياء والمساجد، لنفْع الفقراء والمساكين وذوي الحاجات والأمراض. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٥٥]، والعمل الصالح هو ما استكْمَل ثلاثة أمور:

الأول: موافقته لما جاء به النَّبي ﷺ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر: ٧].

الثاني: أن يكون خالِصًا لله تعالىٰ؛ لأن الله -جل وعلا- يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [سورة الزمر: ١٤-١٥].

الثالث: أن يكون مبنيًّا علىٰ أساس العقيدة الصحيحة؛ لأن الله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧]، فقيَّد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قُبِل منه ذلك العلم الصالح.

وقد أوضح -جل وعلا- هذا المفهوم في آيات كثيرة؛ كقوله في عمَل

غير المؤمن ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٢٣]، وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة هود: ١٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

٤- **الصبر علىٰ الأذىٰ واليقين بوعد الله:** اعلم -رحمك الله- أن الصبر ومجاهدة النفس سبيل لتحقيق الأمنيات، وطريق لإدراك الغايات، قال الله -تبارك وتعالىٰ- حاكيًا عن بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٤]، فالصبر واليقين يكون الاستخلاف والتمكين، وتنال الإمامة في الدين.

٥- **الحياة الطيبة الآمنة:** وهذه ثمرة أخرىٰ، ووعد رباني صادق، قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧]؛ لأن الأساس في الاستخلاف استخلاف الأمناء الأخيار، الذين يقومون بنشر قيم الخير والعدل والأمن، فلا تستقيم الحياة إلا بذلك. قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة النور: ٥٥]. فالإيمان والعمل الصالح سبب للحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن في الآخرة.

٦- **استمرارية وقوع التمكين إلىٰ قيام الساعة:** فعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[1]. إن الوعد بالتمكين، يتحقَّق بموعود الله -تعالىٰ- في كل الأمة إلىٰ قيام الساعة، ما أقامت التوحيد والإيمان الحق، وعمِلت الصالحات والخيرات.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: قوله ﷺ: لا تزال طائفة... (٣/ ١٥٢٣).

سادساً: السلام، تعريفه، وأدلته، وآثاره.

أولًا: التعريف لغةً واصطلاحًا

السلام لغةً:

السّلام في أصل اللّغة: السّلامة، يقال: سلم يسلم سلامًا وسلامةً، ومنه قيل للجنّة «دار السّلام»؛ لأنّها دار السّلامة من الآفات، والسّلام (أيضًا) الاسم من التّسليم[1]، والسلام اسم من أسماء الله تعالىٰ؛ أي: هو الّذي تسلم ذاته عن العيب، وصفاته عن النّقص، وأفعاله عن الشّرّ[2].

ويأتي السلام أو السلم -بكسر السين- بمعنىٰ الصلح والمهادنة، والموادعة، يقال: سالمه أي: هادنه ووادعه، ومن معانيه الإذعان والاستسلام[3].

السلام اصطلاحًا: هو أن تسلم على أخيك بتحية السلام ابتغاء الأجر والثواب.

بالنظر إلىٰ إطلاقات السلام وارتباطه بالسلم الذي هو ضدّ الحرب، فإن الفقهاء تناولوا تعريفه اصطلاحًا في أبواب الهدنة أو الموادعة والمعاهدة، ومن تعريفاتهم له: هو عقد علىٰ ترك الحرب أو القتال علىٰ ألاّ يغزو كل واحد منهما الآخر، بعوض أو بغير عوض[4].

---

(١) ينظر: الصحاح ٦/ ٢٤٥٥

(٢) ينظر: المقصد الأسنىٰ (٦٩)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ١٥).

(٣) ينظر: للسان العرب لابن منظور (١٢/ ٢٨٩) والمصباح المنير (١/ ٢٨٦).

(٤) ينظر: المغني لابن قدامة (١٠/ ٥٠٩) والبدائع للكاساني (٩/ ٣٤٢). والعلاقات الدولية للشومان (ص: ٨٧).

ثانيًا: السلام في الكتاب والسنة وأقوال السلف:

١-القرآن الكريم:

نظرًا لتنوع المقصود بالسلام فإن الآيات والأحاديث الواردة فيها تتنوع حسب المقصود، ولذا قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: السّلام في القرآن الكريم على أوجه:

أحدها: اسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ ومنه قوله تعالىٰ في الحشر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢٣]. قيل: وصف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق[1].

والثّاني: التّحيّة المعروفة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ٩٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة يونس: ١٠]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [سورة هود: ٦٩]. وقوله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [سورة يس: ٥٨].

---

(١) انظر: المفردات للراغب، ص ٤٢٢.

والثّالث: السّلامة من كلّ شرّ، ومنه قوله تعالىٰ في الواقعة: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [سورة الواقعة: ٩١]. وقوله تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [سورة ق: ٣٤]

والرّابع: الخير، ومنه قوله تعالىٰ في سورة القدر: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر: ٥].

والخامس: الثّناء الجميل، ومنه قوله تعالىٰ في الصّافّات: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [سورة الصافات: ٧٩-١٠٩-١٢٠].

والسّادس: الجنّة: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٧].

قال الراغب: السِّلْمُ والسَّلَامَةُ: التّعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة ... والسّلامة الحقيقيّة ليست إلّا في الجنّة؛ إذ فيها بقاء بلا فناء، وغنىٰ بلا فقر، وعزّ بلا ذلّ، وصحّة بلا سقم، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]؛ أي: السلامة، قال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [سورة يونس: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [سورة المائدة: ١٦]»[1].

٢-السنّة:

جاءت دعوة النبي ﷺ سلامًا ورحمة للعالمين، فورد التنويه علىٰ السلام

---

(١) المفردات للراغب، ص ٤٢١.

ومعانيه في أحاديث كثيرة:

- الترغيب في لزوم السلامة والنأي عما يضادها: قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ ﷻ: ... وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ»[1]، أرادَ أَنْ يَلزَم بَيْتَهُ طَلَبًا لِلسَّلَامَةِ مِنَ الفِتَن ورَغبة فِي العُزل[2].
- تحية السلام من أعظم حقوق المسلمين: عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ»[3]، وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[4]. وقال الشوكاني: والمراد بقوله: (حق المسلم) أنه لا ينبغي تركه ويكون فعله إما واجبًا أو مندوبًا ندبًا مؤكدًا شبيهًا بالواجب الذي لا ينبغي تركه، ويكون استعماله في المعنيين من باب استعمال المشترك في معنييه، فإن الحق يستعمل في معنىٰ الواجب، كذا ذكره ابن الأعرابي، وكذا يستعمل في معنىٰ الثابت ومعنىٰ اللازم ومعنىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب: في فضل الغزو في البحر ٤/ ١٥٠، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٩٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز (٢/ ٧١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب: الأمر باتباع الجنائز، (٢/ ٧١)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام (٤/ ١٧٠٤).

الصدق وغير ذلك. وقال ابن بطال: المراد بالحق هنا الحرمة والصحبة[1]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ»[2].

- السلام من أسماء الله تعالىٰ: وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَضَعَهُ اللهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ، إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَلَّمَ عَلَىٰ الْقَوْمِ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلُ دَرَجَةٍ، لِأَنَّهُ ذَكَّرَهُمُ السَّلَامَ، وَإِنْ لَمْ يُرَدَّ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَطْيَبُ»[3].
- أفضل المؤمنين من يبدأ بالسلام: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[4].
- ترك السلام من أمارات الساعة: عن ابْن مَسْعُودٍ قَالَ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَىٰ الرَّجُلِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ»[5].

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني (٤/ ٢١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب: أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس علىٰ الصعدات (٣/ ١٣٢).

(٣) الأدب المفرد باب من لم يرد السلام (ص: ٥٧٨).

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ مِنَ الْمُتَهَاجِرَيْنِ كَانَ خَيْرَهُمَا ١٢/ ٤٨٥.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٣٩٨، رقم: ٣٨٤٦، وحسنه الأرنؤوط

- من أفضل النعم: تحية السلام: عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَىٰ السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»(١).
- تحية السلام من موجبات دخول الجنان: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(٢).
- إلقاء السلام مما يوجب المحبّة بين المسلمين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٣).

٣- آثار السلف:

- عن الطّفيل بن أبيّ بن كعب أخبر: «أنّه كان يأتي عبد اللّه بن عمر، فيغدو معه إلىٰ السّوق، قال: فإذا غدونا إلىٰ السّوق، لم يمرّ عبد اللّه بن عمر علىٰ سقّاط «سقاط: بائع السقط. وهو الرديء من المتاع»، ولا صاحب بيعة «بيعة: المرة من البيع»، ولا مسكين، ولا أحد إلّا سلّم عليه، قال

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب: الجهر بآمين ١/ ٢٧٨)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأطعمة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في فضل إطعام الطعام ٤/ ٢٣٣) وصححه، وابن ماجة في سننه أبواب الأطعمة، باب: إطعام الطعام ١/ ٢٧٨)،

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم (١/ ٧٤).

الطّفيل: فجئت عبد اللّه بن عمر يوما، فاستتبعني إلىٰ السّوق، فقلت له: وما تصنع في السّوق، وأنت لا تقف علىٰ البيع، ولا تسأل عن السّلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السّوق؟ قال وأقول: اجلس بنا ههنا نتحدّث، قال: فقال لي عبد اللّه بن عمر: يا أبا بطن!: وكان الطّفيل ذا بطن إنّما نغدو من أجل السّلام، نسلّم علىٰ من لقينا»[1].

- قال عمر- رضي اللّه عنه-: «ثلاث يصفين لك ودّ أخيك: أن تسلّم عليه إذا لقيته، وتوسّع له في المجلس، وتدعوه بأحبّ أسمائه إليه»[2].

- عن معاوية بن قرّة عن أبيه؛ قال: «يا بنيّ إذا كنت في مجلس ترجو خيره فعجلت بك حاجة فقل السّلام عليكم فإنّك شريكهم فيما يغتنمون في ذلك المجلس»[3].

ثالثًا: آثار السلام علىٰ الفرد والمجتمع:

- السَّلام من أسماء الله تعالىٰ وهو المسلّم لعباده المسلّم علىٰ أوليائه، والجنّة دار السّلام فهي دار السّلامة من الآفات.
- عند تحقّق السلام يسود الأمن والأمان ويعيش المجتمع في أمن ورخاء وتقدم وازدهار.
- السّلام أمان الله في الأرض وهو تحيّة المؤمنين في الجنّة وتحيّة أهل

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٧٣٣).

(٢) آداب العشرة للغزي (١٦).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب: باب حق من سلم إذا قام (١٠٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٥٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

الإسلام في الدّنيا، وهو طريق المحبّة والتّعارف بين المسلمين.

- في إشاعة السّلام بين المسلمين تنشأ المودّة والمحبّة ويشعر كلّ مسلم بالاطمئنان تجاه الآخرين، كما أن البخل بتحية السّلام أشدّ من البخل بالمال[1].

---

(١) للاستزادة ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢/ ٤٦٦).

ثالثًا: القيم الاقتصادية في الإسلام.

أولًا: القناعة، تعريفها، وأدلتها، وآثارها.

أولًا: التعريف بالقناعة لغةً واصطلاحًا:

القناعة في اللغة: مصدر قنِع -بالكسر- يقنع قنوعًا وقناعة إذا رضي، وقَنَعَ، بالفتح، يقنَع قُنوعًا إذا سأل، والقنوع: الرضا باليسير من العطاء، الإقبال بالوجه علىٰ الشّيء والرضا به، قال الرّاغب: يقال: قنع يقنع قناعة وقنعانا إذا رضي[(١)]، وقال بعض أهل العلم: إن القُنوع قد يكون بمعنىٰ الرضا، والقانع بمعنىٰ الراضي، وهو من الأضداد. وسمِّيت قناعةً؛ لأنه يقبل علىٰ الشيء الذي له راضيًا[(٢)].

القناعة اصطلاحًا:

لم يختلف تعريفها في الاصطلاح عن التعريف اللغوي؛ إذ المؤدّىٰ واحدٌ، وعليه فقد قيل في تعريفه اصطلاحًا: بأنه: الرّضا بالقسم والاجتراء باليسير من الأغراض المحتاج إليها[(٣)].

وقال المناويّ: القناعة عرفًا: الاقتصار علىٰ الكفاف، وقيل: الاكتفاء بالبلغة، وقيل: سكون الجأش عند عدم المألوفات، وقيل: الوقوف عند الكفاية[(٤)].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٣) ولسان العرب لابن منظور (٨/ ٢٩٧)، والمفردات للراغب (٢١٤).

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١٢٢٧).

(٣) ينظر: المفردات للراغب (٤١٣)

(٤) ينظر: التوقيف علىٰ مهمات التعاريف لابن المناوي (٢٧٥).

وقال السيوطي: القناعة: الرضا بما دون الكفاية، وترك التشوُّف إلىٰ المفقود، والاستغناء بالموجود[1].

وعليه: فالقناعة: هي الرضىٰ والاستغناء بالمحصول الموجود، وترك التشوق والتحسر عن المفقود.

---

(١) ... تدريب العلوم (ص: ٢١٥).

ثانيًا: القناعة في الكتاب والسنة وأقوال السلف:

١- القرآن الكريم:

- قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الحج: ٣٦].

فالقانع الّذي لا يلحّ بالسؤال، والمعترّ الّذي يتعرّض ولا يسأل، وقيل القانع: المتعفّف[١].

- وقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧]، قال محمد بن كعب: (الحياة الطيبة) هي القناعة[٢]. وفسَّرها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا بالقناعة[٣] ومثل قوله قال الحسن البصري.

٢- السنة:

- كان عيش النبي ﷺ كفافا وقناعة: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اجعَل رِزقَ آل محمدٍ قوتًا**»[٤]. قال القرطبي:

---

(١) انظر: المفردات للراغب، ص ٦٨٥.

(٢) القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا (ص: ٦١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٠).

(٤) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي وأصحابه (٨/ ٩٨)،

«أي: اكفهم من القوت بما لا يرهقهم إلىٰ ذلِّ المسألة، ولا يكون فيه فضول يبعث علىٰ الترفُّه والتبسُّط في الدنيا، قال: ومعنىٰ الحديث أنه طلب الكفاف؛ فإن القوت ما يقُوت البدن ويكفُّ عن الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من حالات الغنىٰ والفقر جميعًا»[1].

- عدم طلب الزيادة والرضا بالمحصول: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»[2].

قال ابن حجر: (ومعنىٰ الحديث: أن من اتصف بتلك الصفات حصل علىٰ مطلوبه، وظفر بمرغوبه في الدنيا والآخرة)[3].

وقال المناوي: (رُزق كفافًا، وقنَّعه الله بالكفاف، فلم يطلب الزيادة)[4].

وقال القرطبي: (أنَّ من فعل تلك الأمور واتصف بها فقد حصل علىٰ مطلوبه، وظفر بمرغوبه في الدنيا والآخرة)[5]. الرضا بالقليل من الرزق: عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «طُوبَىٰ لِمَنْ هُدِيَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ»[6].

---

(١) انظر: فتح الباري ١١/ ٢٧٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: في الكفاف والقناعة (٢/ ٧٣٠).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٧٥).

(٤) فيض القدير للمناوي (٤/ ٥٠٤)

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٣/ ٩٩).

(٦) أخرجه الترمذي، أبواب الشهادات عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه (٤/ ٥٧٦). وقال: حديث صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ»[1]

- التكفف والقناعة بعدم السؤال: عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّىٰ أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَىٰ العَطَاءِ، فَيَأْبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ عَلَىٰ حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَىٰ أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ»[2]

- القناعة في القوت والطعام: فعن سلمة بن عبيد الله بن محصن الأنصاري، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»[3].

قال المناوي: (عنده قوت يومه) أي: غداؤه وعشاؤه الذي يحتاجه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة

في يومه ذلك. يعني: من جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجَّه، وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله؛ فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل علىٰ غيرها، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها؛ بأن يصرفها في طاعة المنعم، لا في معصية، ولا يفتر عن ذكره)[1].

٣-أقوال السلف:

عن أبي العلاء بن الشخير يرفعه إلىٰ النبي ﷺ، قال: **«إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَرْضَاهُ بِمَا قَسَمَ لَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَإِذَا لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا لَمْ يُرْضِهِ بِمَا قَسَمَ لَهُ، وَلَمْ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ»**.

- وقال أكثم بن صيفي: من رضي بالقسم طابت معيشته، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه[2].
- قال بكر بن عبد الله المزني: يكفيك من الدنيا ما قنعت به ولو كف تمر، وشربة ماء، وظل خباء، وكل ما انفتح عليك من الدنيا شيء ازدادت نفسك به تعبًا.

ثالثًا: من آثار القناعة[3] على الفرد والمجتمع:

- **امتلاء القلب بالإيمان بالله تعالىٰ والثقة به**، والرضىٰ بما قدر وقَسَم، وقوة اليقين بما عنده ﷻ ذلك أن من قنع برزقه فإنما هو مؤمن ومتيقن بأن الله تعالىٰ قد ضمن أرزاق العباد وقسمها بينهم حتىٰ ولو كان ذلك القانع لا يملك شيئًا.

---

(١) فيض القدير للمناوي (٦/ ٦٩).

(٢) ينظر: القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا (ص: ٥٩).

(٣) انظر: القناعة، مفهومها.. منافعها.. الطريق إليها، لإبراهيم بن محمد الحقيل، ص ٧-١٣.

- **الحياة الطيبة:** قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٧]، فَسر الحياة الطيبة عليّ وابن عباس والحسن رضي الله عنهم فقالوا: «الحياة الطيبة هي القناعة».

- **تحقيق شكر المنعم تعالىٰ: ذلك أن من قنع برزقه شكر الله تعالىٰ عليه،** ومن تقالّه قصَّر في الشكر، وربما جزع وتسخط- والعياذ بالله- ولذا قال النبي ﷺ: **«كن ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس»**(١).

ومن تسخط من رزقه فإنما هو يسخط علىٰ من رزقه، ومن شكا قلّته للخلق فإنما هو يشكو خالقه ﷻ للخلق. وقد شكا رجل إلىٰ قوم ضيقًا في رزقه فقال له بعضهم: «شكوت من يرحمك إلىٰ من لا يرحمك»(٢).

- **الفلاح والبشرىٰ لمن قنع:** فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«طُوبَىٰ لِمَنْ هُدِيَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ»**(٣).

- **الوقاية من الذنوب التي تفتك بالقلب وتذهب الحسنات:** كالحسد، والغيبة، والنميمة، والكذب، وغيرها من الخصال الذميمة والآثام العظيمة؛ ذلك أن الحامل علىٰ الوقوع في كثير من تلك الكبائر غالبًا ما يكون استجلاب دنيا أو دفع نقصها. فمن قنع برزقه لا يحتاج إلىٰ ذلك الإثم، ولا يداخل قلبه حسد لإخوانه

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، أبواب الزهد، باب: في الورع والتقوىٰ، (٥/ ٢٩٩) وحسنه الأرنؤوط.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة (٣/ ٢٠٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الشهادات عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه (٤/ ٥٧٦). وقال: حديث صحيح.

علىٰ ما أوتوا؛ لأنه رضي بما قسم له.

قال ابن مسعود ﷺ: «اليقين ألا ترضي الناس بسخط الله؛ ولا تحسد أحدًا علىٰ رزق الله، ولا تلم أحدًا علىٰ ما لم يؤتك الله؛ فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره؛ فإن الله -تبارك وتعالىٰ- بقسطه وعلمه وحكمته جعل الرَّوْح والفرح في اليقين والرضىٰ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[1].

- **حقيقة الغنىٰ في القناعة:** ولذا رزقها الله تعالىٰ نبيه محمدا ﷺ وامتن عليه بها فقال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [سورة الضحىٰ: ٨]، فقد نزلها بعض العلماء علىٰ غنىٰ النفس؛ لأن الآية مكية، ولا يخفىٰ ما كان فيه النبي ﷺ قبل أن تفتح عليه خيبر ﷺ قام خطيبًا في الناس علىٰ المنبر يقول: «إن الطمع فقر، لان اليأس غنىٰ، وإن الإنسان إذا أيس من الشيء استغنىٰ عنه»[2].

- **العز في القناعة،** والذل في الطمع: ذلك أن القانع لا يحتاج إلىٰ الناس فلا يزال عزيزًا بينهم، والطماع يذل نفسه من أجل المزيد؛ ولذا جاء في حديث سهل بن سعد مرفوعًا: **«شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس»**[3].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في اليقين، ص (١١٨).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٢٧٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٣) والقضاعي في مسند الشهاب (١٥١) والحاكم وصححه (٤/ ٣٢٤).

ثانيًا: الرِّضا، تعريفه، وأدلته، ومجالاته، وآثاره.

أولًا: تعريف الرضا لغةً واصطلاحًا:

الرضا لغةً: مصدر رضىٰ يرضىٰ وهو مأخوذ من مادة (ر ض و) التي تدل علىٰ خلاف السخط وفي حديث الدعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**»[1].

وقال الراغب: رضا العبد عن الله ألا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرًا بأمره ومنتهيًا عن نهيه. وقيل: الرضا هو سرور القلب بمر القضاء[2].

الرضا اصطلاحًا:

-هو سرور القلب بمرّ القضاء. وقيل الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان، وقيل الرضا هو صحة العلم الواصل إلىٰ القلب. فاذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلىٰ الرضا. وقيل: نظر القلب الىٰ قديم اختيار الله للعبد فإنه اختار له الأفضل، وترك السخط[3].

ثانيًا: الرضا في الكتاب والسنة وأقوال السلف:

١-القرآن الكريم:

جاءت آيات الرضا في القرآن علىٰ مراتب:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود (١/ ٣٥٢)..

(٢) ينظر: المفردات للراغب ص ١٩٧.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١١١.

- **رِضَا العبد عن الله:** بأن لا يكره ما يجري به قضاؤه. قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٧]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ [سورة الأحزاب: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، وقال الله تعالىٰ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة المائدة: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الفتح: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

- **رِضَا الله عن العبد:** بأن يراه مؤتمرا لأمره، ومنتهيا عن نهيه[1]. قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [سورة النجم: ٢٦].

- **تقديم رضا المخلوق علىٰ رضىٰ الخالق:** قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التحريم: ١].

- **الرضا بالدنيا والخلود إليها:** قال تعالىٰ: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سورة التوبة: ٣٨].

٢- السنة:

- مدح الله أهل الرضا وأثنىٰ عليهم وندبهم إليه، فدل ذلك علىٰ أنه مقدور

---

(١) انظر: المفردات للراغب، ص ٣٥٦.

خصائص القيم الإسلامية.

تتميز القيم الإسلامية بخصائص تميزها عن غيرها من القيم في المجتمعات غير الإسلامية، وهذه الخصائص مستمدة من مصادر القيم ومنبعها؛ إذ تلك الخصائص تعدّ من خصائص الدين الإسلامي، وتتمثل في الربانية والوسطية والعالمية مع السماحة واليسر، والشمولية والواقعية، فيما يأتي عرض لتلك الخصائص وأهميتها ومكانتها.

أولًا: الربانية: مفهومها وأهميتها ومكانتها في الإسلام وآثارها

أولًا: مفهوم الربانية:

أ- مفهومها في اللغة العربية:

أصل هذا المصطلح من كلمة (ربَّ)، قال ابن فارس: «الراء والباء يدل على أصول. فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه. فالرب: المالك، والخالق، والصاحب. والرب: المصلح للشيء. يقال رب فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها... والله -جل ثناؤه- الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه»[1].

وقال الرازي: «والرب: اسم من أسماء الله ﷻ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك. والرباني: المتأله العارف بالله تعالى»[2].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٣٨١-٣٨٢.

(٢) مختار الصحاح لزيد الدين الرازي ص ١١٦.

فالربانية في اللغة تدور حول: إصلاح الشيء والقيام عليه، وأن كلمة (الرب) اسم من أسماء الله تعالىٰ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة.

ب- مفهوم الربانية في الاصطلاح:

مصطلح الربانية أصله من كلمة -الرب-كما سبق البيان آنفا، وقد زيدت عليه الألف والنون للمبالغة[1]، ويعني من الناحية الاصطلاحية: تَمَيُّز الشيء عن غيره بأن يكون مصدره من وحي الكتاب والسنة، فتكون الأمة الإسلامية وقيمها وأخلاقها مصدرها الكتاب والسنة، وأنها بذلك تتميز عن غيرها من الأمم وقيمها وأخلاقها

وبذلك يتضح المعنىٰ والمفهوم بأن القيم الأخلاقية الإسلامية ربانية المصدر، وأن واضعها ومشرعها هو الله ﷻ بواسطة رسله عليهم السلام، وبهذا تختلف القيم الأخلاقية عند المسلمين عن غيرها من القيم عند الأمم الأخرىٰ والديانات غير الإسلامية؛ لأن مصادر القيم عند الغربيين هي الفلسفة وآراء الناس وتحريفات باطلة، والتجارب والمصلحة الشخصية.

ثانياً: أهميتها:

١- الرفع من قدر القيم الإسلامية؛ لأن المشرع لها هو الله ﷻ.

٢- يجب علىٰ كل من انتسب للإسلام التزام بها قولا وعملا، كما قال تعالىٰ:

---

(١) نسب العرب إلىٰ لفظ «الرب» بزيادة الألف والنون عند قصد التعظيم والمبالغة في الوصف، فتكون الربانيّة مصدرًا صناعيًّا. ينظر: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي لأحمد مختار وفريق عمله، ٢/ ١٤٣.

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ -في تفسيره لهذه الآية-: «خاطب الله العباد، وألفتهم إلىٰ الكتاب فقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾؛ أي: الكتاب الذي أريد إنزاله لأجلكم، وهو: الذي يريد أن يتم تربيته لكم، فأنزل عليكم هذا الكتاب الذي، إن اتبعتموه، كملت تربيتكم، وتمت عليكم النعمة، وهديتم لأحسن الأعمال والأخلاق ومعاليها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: تتولونهم، وتتبعون أهواءهم، وتتركون لأجلها الحق»[1].

٣- وضوح القيم الإسلامية، فلا لبس فيها ولا غموض.

٤- كمال القيم الإسلامية فلا داعي للنظر في فلسفات الغرب وتجاربهم فديننا كامل من جميع النواحي وقدر رضيه الله -تبارك وتعالىٰ- لنا دينًا.

٥- الفخر بهذه القيم الإسلامية الحميدة فهي كاملة مكملة غير متضاربة ولا متناقضة كما عند غير المسلمين.

ثالثًا: مكانة الربانية في القيم الأخلاقية:

للربانية في القيم الإسلامية مكانة عظيمة، وذلك لِمَا تحملها من دلالات وحقائق مهمة ترتكز عليها هذه القيم، ومما يدل علىٰ مكانتها ما يأتي:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن السعدي ص ٢٨٣.

١ -كونها وحي من الله ﷻ، وهو ما يفرض علىٰ كل مسلم وجوب اتباعها والاتصاف بها امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣].

٢ -كونها توجب الحذر من القيم المخالفة لها؛ إذ دلت الربانية علىٰ أن هذه القيم وحي من الله تعالىٰ، وقد أمر الله تعالىٰ باتباع وحيه والحذر مما يخالفه، حيث قال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الزمر: ٥٥].

ومن المعلوم أن مخالفة أوامر الله في القيم الإسلامية وارتكاب ما يخالفه من الحكم بغير ما أنز الله تعالىٰ، وهو نوع من أنواع المعاصي التي لا تخرج المسلم من الإسلام[1] إلا إذا كان ما ارتكبها يرىٰ أنها أفضل من حكم الله أو مساوية له فهذا يكون قد كفر كفرا مخرجا من الملة.

٣- تُلزم الربانيةُ جميعَ المسلمين علىٰ النظر إلىٰ ما كان عليه النبي ﷺ من أخلاق كريمة والاقتداء به؛ إذ ما كان النبي ﷺ ينطق في الأمور الشرعية إلا بوحي من الله تعالىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

---

(١) وقد فسر العلماء قوله: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، والكافرون، والفاسقون» بأنه كفر دون كفر؛ أي: ليس كفرًا ينقل عن الملة. ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٢٠.

[سورة النجم: ١-٤]. وقد وصفه الله تعالىٰ بأنه كان علىٰ خلق عظيم بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤]، وكان يربي أصحابه علىٰ الخلق القرآني الرفيع كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾: «أَيْ: يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ لتزكُوَ نُفُوسُهُمْ وَتَطْهُرَ مِنَ الدَّنَسِ والخَبَث الَّذِي كَانُوا مُتَلَبِّسِينَ بِهِ فِي حَالِ شِرْكِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ»[1]، ومن المعلوم أن تطهير النفوس من الخبث يشمل تطهيرها من الخبائث الأخلاقية، كما صرح بذلك العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ لما فسر هذه الآية بقوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق»[2].

رابعًا: آثار الربانية في بناء القيم الإسلامية الصالحة:

إن للربانية آثارًا واضحة ومؤثرة في بناء القيم الإسلامية الصالحة؛ إذ حينما يتصور المسلم ويعي بربانية هذه القيم يجد نفسه ملزَمًا باتباع هذه الأخلاق ومجانبة ما يضادها من الأخلاق الفاسدة، فحينما يتدبر المسلم قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٥٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٢/ ١٥٥.

-لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ-: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[1]: يطمئن قلبه بهذه القيم الإسلامية لكونها ربانية، مصدرها القرآن والسنة، وأنها أشرف وأعلىٰ منزلة علىٰ سائر القيم.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ -مبينًا مقصود قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بأنه كان خلقه القرآن- : «تَعْنِي: أَنَّهُ تَأَدَّبَ بِآدَابِهِ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ، فَمَا مَدَحَهُ الْقُرْآنُ، كَانَ فِيهِ رِضَاهُ، وَمَا ذَمَّهُ الْقُرْآنُ، كَانَ فِيهِ سُخْطُهُ»[2].

وتتجلىٰ آثار الربانية إيجابًا أكثر حينما يعرف المسلم هذه الخصيصة في القيم الإسلامية، وقرأ في نصوص الوحي ما يحث علىٰ أنواع كثيرة من الأخلاق الحميدة، وعرف ما يجب عليه من التحلي بها، والتزين بها، ففي قوله ﷺ: «خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[3] فيه أمر جلي للتحلي بقيم إسلامية حسنة، ومن قرأ هذا الحديث يجد نفسه مسلِّما له، وقد جاء في بعض الآيات والأحاديث ذِكْرُ بعض الخصال للقيم الإسلامية الحميدة التي يتصف بها رسول الله ﷺ، وبعض الخصال للقيم الأخلاقية الفاسدة التي تُنفَىٰ عنه ﷺ.

ومن أدلة الوحي التي ذكرتْ بعضَ تفاصيل القيم الإسلامية الحميدة للرسول ﷺ: قوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٢/ ١٨٣ رقم ٢٥٣٠٢.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١/ ٣٧٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٦/ ٣٨١.

وقال الزجّاج: الوسط فيه قولان: عدلًا وخيارًا[1]. ووسَط بفتح السين؛ إمّا أن تكون (اسمًا) لِما بين طرفي الشيء؛ وهو منه فنقول: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط القوس، وجلست وسط الدار[2]. أو (صفة) تدل علىٰ معنيين:

المعنىٰ الأول: العدل، وهو القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيُمدَح به نحو السواء والعدل والنَّصَفَة[3].

قال في لسان العرب: (ووسط الشيء وأوسطه أعدله)[4].

وقد ورد في الصحيح: «**فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَىٰ الجَنَّةِ**»[5].

وسميت (الصلاة الوسطىٰ)؛ لأنها أفضل الصلاة وأعظمها أجرًا، ولذلك خُصَّت بالمحافظة عليها.

وقيل: لأنها وسَطٌ بين صلاتي الليل وصلاتي النهار[6].

والمعنىٰ الثاني: الفضل والخيار، فأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعي خير من طرفيه، ومرعىٰ وسط؛ أي: خيار[7].

---

(١) معاني القرآن، للزجّاج ١/ ٢١٩.

(٢) لسان العرب (٧/ ٤٢٧).

(٣) المفردات، للأصبهاني، ص ٨٦٩.

(٤) لسان العرب ٧/ ٤٣٠.

(٥) أخرجه البخار في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله يقال هذه سبيلي وهذا سبيلي رقم ٢٦٣٧.

(٦) لسان العرب ٧/ ٤٣٠.

(٧) الصحاح، للجوهري ٣/ ١١٦٧.

وجاء هذان المعنيان في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾؛ أي: خيارًا عدولًا[1].

٢- الوسطية اصطلاحًا:

١ - تعريف ابن الأثير: (كلّ خصلة محمودة لها طرفان مذمومان. فالسخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهوّر)[2].

٢- تعريف الرازي: (الوسَط هو حقيقة البعد عن طرفين، ولا شكّ أنّ طَرفي الإفراط والتفريط رديئتان، فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيدًا عن طرفين فكان معتدلًا فاضلًا)[3].

٣- تعريف البيضاوي: (الوسَط اسم للمكان الذي تستوي فيه المِساحة من الجوانب، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط)[4].

فالوسَطيّة: هي الاعتدال ومجانبة الإفراط والتفريط في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وسيلةً وأسلوبًا ومضمونًا ومنهجًا وأخلاقا. قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٢/ ٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٥٨٤.

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي ٣/ ٨٩.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي ٤/ ١٩.

وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

ثانيًا: أهمية الوسطية في القيم الإسلامية:

أهمية الوسطية والاعتدال في مجال الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ: للوسطية والاعتدال في القيم الأخلاقية والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ أهمية بالغةٌ وأثرٌ عظيمٌ، يتضح من خلال النقاط الآتية:

١: **من أعظم مقاصد الوسطية في الإسلام**؛ هو جعل هذه الأمة قائمة بالشهادة بالحق بين الأمم، وأمينة علىٰ جانب البلاغ لهذا الدين، قال تعالىٰ: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ يقول العلامة السعدي: ليكونوا ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون علىٰ الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود(١).

٢: **الوسطية في القيم والأخلاق مما يُثبت هذا الدين في نفوس المؤمنين**؛ إذ إنّ الغلو والتشدّد المجانب للوسطية مما يقطع السائر إلىٰ ربه عن المداومة علىٰ طاعته وعبادته.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**(٢) **قَالَهَا ثَلَاثًا**»(٣).

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٧٠)

(٢) وهو تكلّف القول والعمل، والتعمّق والمغالاة، النهاية في غريب الحديث ٥/ ٧٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب: هلك المتنطعون (٤/ ٢٠٥٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[1].

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: (إن الشريعة جارية في التكليف لمقتضاها علىٰ الطريق الوسط العدل الآخذِ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، فإذا نظرت إلىٰ كلية شرعية فتأملها تجدها حاملةً علىٰ التوسط والاعتدال، ورأيت التوسط فيها لائحًا، ومسلك الاعتدال واضحًا، وهو الأصل الذي يُرجع إليه، والمعقِل الذي يُلجأ إليه)[2].

٣: **إنّ وسطية هذا الدين: عقيدة وأحكامًا وأخلاقًا كانت له الثمار اليانعة في بيان حقيقة هذا الدين** في تسامحه وعدله وإنصافه حتىٰ مع المخالف والمبغض؛ وهو ما جعل فئامًا من أمة الدعوة تستجيب لهذا الدين طواعية من غير إكراه ولا سيف. قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٨].

قال ابن كثير: (أي: لا يحملنكم بُغْض قوم علىٰ ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًّا)[3].

وقال محمد رشيد رضا: (أي: ولا يكسبنكم ويحملنكم بغض قوم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، وقول النبي ﷺ: «أحب الدين إلىٰ الله الحنيفية السمحة» (١/ ١٦).

(٢) الموافقات، للشاطبي ٢/ ٢٨٦.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٢.

وعداوتهم لكم، أو بغضكم وعداوتكم لهم، علىٰ عدم العدل في أمرهم بالشهادة لهم بحقهم إذا كانوا أصحاب الحق، ومثلها هنا الحكم لهم به، فلا عذر لمؤمن في ترك العدل وعدم إيثاره علىٰ الجور والمحاباة، بل عليه جعله فوق الأهواء وحظوظ النفس، وفوق المحبة والعداوة مهما كان سببهما، فلا يتوهمن متوهم أنه يجوز ترك العدل في الشهادة للكافر، أو الحكم له بحقه علىٰ المؤمن)[1].

٤: **إن في الوسطية توازنًا واعتدالًا في كل المجالات والنواحي**، فهي تراعي حظّ العبد من احتياجاته وفطرته في طعامه وشرابه وراحته وطيباته، كما تراعي تغذية روحه وعقله، دون إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا رهبانية؛ وهذا ما يضفي علىٰ العبد سعادة وطمأنينة واستقرارًا، وقوة في العبادة ونشاطًا.

فالإسلام دين الوسطية فلا يفرط في المادية علىٰ حساب الروحية، ولا في الروحية علىٰ حساب المادية، وإنما يعطي المادة حقها، والروح حقها، ويأخذ من الجانبين مقومات إصلاح الأرض وإسعاد البشر.

عن عائشة، أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: **«مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّىٰ تَمَلُّوا»**[2].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: **«دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ**

---

(١) تفسير المنار ٦/ ٢٢٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: أحب الدين إلىٰ الله ﷻ أدومه (١/ ١٧).

النَّبِيُّ ﷺ: «لَا حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»[1].

قال ابن حجر: «وفيه الحث علىٰ الاقتصاد في العبادة والنهي عن التعمق فيها»[2].

٥: **الوسطية عنوان الصراط المستقيم: فالبشرية تنمو بالوسطية، وتجدها المناسبة لها، وتتكيف معها سريعًا، وتدرك بحسها ووجدها مناسبتها لكل أحوالها.** وهي أساس السعادة والحياة الطيبة. والمقصود أن الهدىٰ مستلزم لسعادة الدنيا وطيب الحياة والنعيم العاجل، وهو أمر يشهد به الحس والوجد[3].

٦: **إن مما يقوض البدعة ويقطع دابرها، ويسدّ منافذها، هو الوسطية في العقيدة والعبادة والمنهج.**

فما نشأت البدع إلا من تجاوز الحدّ والمبالغة في التعبّد؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ٧٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (وما أمر الله بأمر إلَّا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلىٰ تفريط وإضاعة، وإما إلىٰ إفراط وغلو؛ ودين الله وسط بين الجافي عنه، والغالي فيه.

كالوادي بين جبلين، والهدىٰ بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين؛

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب: ما يكره من التشديد في العبادة (٢/ ٥٤).

(٢) [illegible] ٣/ ٣٧.

فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد)[1].

قال الشاطبي -في حدّ البدعة-: (البدعة إذن عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه)[2].

٧: إن من مقاصد الدعوة الإسلامية تحقيق الائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف؛ والشريعة الإسلامية بوسطيتها وعدلها تحقّق هذا المقصد العظيم.

لقد حثَّ الإسلام على الوحدة والاجتماع، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

وذلك لما يعود على الأمة من الفرقة والاختلاف من ضعفٍ وهوانٍ، كما حذر من الفرقة والاختلاف فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦]، والخلاف واقعٌ في الأمة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ إِحْدَىٰ أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»[3].

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٤٩٦.

(٢) الاعتصام، للشاطبي ١/ ٢٦.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: شرح السنة (٤/ ١٩٧). والترمذي في سننه: كتاب الإيمان، باب: افتراق الأمم ٢٦٤٠) وابن ماجه في سننه، باب: افتراق الأمم (٢/ ١٣٢٢).

ومن رحمة النَّبيِّ ﷺ بأمَّته أنْ أرشدهم إلىٰ المخرج وسبيل النَّجاة عند الافتراق؛ إذ روىٰ العِرْباض بن سارِيَةَ س قال: صلَّىٰ بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم، ثم أَقْبَلَ علينا فوَعَظَنا مَوْعِظَةً بليغةً، ذَرَفَتْ منها العيونُ ووَجِلَتْ منها القلوبُ، فقال قائلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

ثالثًا: مكانة الوسطية في القيم الإسلامية:

للوسطية مكانة عظيمة في القيم الإسلامية؛ إذ هي خصيصة من خصائصها الرئيسة التي تميز الأخلاق الإسلامية عن غيرها من الأخلاق، فهي تشمل الأخلاق القولية والفعلية، وهذا توجيه رباني كما قال تعالىٰ في بعض الآيات: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ١١٠].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٧].

وغيرهم، والحديث صحيح، له طرقٌ عديدةٌ عن جمعٍ من الصحابةِ، وصحَّحه جمعٌ من الحفَّاظ. ينظر: السلسلة الصحيحة للألباني، ١/ ٢٠٣.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: لزوم السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في جامعه، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ٢٦٧٦، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

فهذه الآيات تظهر الوسطية في القيم القولية والفعلية، فلا يتهور بالكلام ولا يجافي فيه، ولا يسرف في الإنفاق ولا يقصر فيه، وإنما يكون وسطًا بينهما، وهكذا في بقية الأقوال والأفعال الأخلاقية، وبهذا تظهر مكانة الوسطية في القيم الإسلامية.

رابعًا: آثار الوسطية في القيم الإسلامية:

هناك أمور كثيرة تدل علىٰ الآثار الإيجابية للوسطية في القيم الإسلامية منها:

١- بذل الوسع والنصح، في دعوة الناس إلىٰ فضائل الأخلاق، واجتناب رذائلها.

بدءًا بالأقربين فمن بعدهم، وقد قص الله ﷻ قصة لقمان وموعظته لابنه، وخصّ تعالىٰ من جملة ما وعظ لقمان به ابنه دعوته إياه إلىٰ التوحيد وإلىٰ الأخلاق، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣].

٢- تأصيل الدعوة إلىٰ الأخلاق.

وذلك من خلال الاستشهاد والاسترشاد بنصوص الكتاب والسنّة، وآثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأحوالهم في ذلك رضي الله عنهم أجمعين، فإن لهذا شأنًا عظيمًا لا يستهان به في الوصول إلىٰ الغاية والمأمول. وقد سبق معنا طرفا من هذا.

٣- ربط الأخلاق بالإيمان.

إنّ المؤمن ينطلق في التحلّي بالأخلاق الفاضلة، والتخلي عن الأخلاق

الذميمة من منطلق إيماني بحت، خوفًا من عذاب الله ورجاء لمثوبته، فكلّما قوي إيمان العبد حسن خلقه وعلىٰ الضد كلما ضعف إيمانه ساء خلقه[1].

وعليه فإنّ ترسيخ الإيمان متضمن للدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق، وكثيرًا ما كان السلف رحمهم الله يجمعون بين الإيمان والدعوة إلىٰ الأخلاق في مواعظهم وخطبهم.

٤- التأكيد علىٰ وسائل اكتساب الأخلاق

وسائل اكتساب الأخلاق الفاضلة كثيرة ومتنوِّعة، منها: أداء العبادات المفروضة، ومجاهدة النفس وترويضها وحملها علىٰ الخلق القويم، والقدوة الحسنة، والجليس الصالح، وغيرها من الوسائل[2].

ومن أعظم هذه الوسائل وأكثرها تأثيرًا: التعليم والإرشاد: إذ معرفة الأخلاق حسنها وقبيحها ضروري لاكتسابها، فمن جهل الشيء عاداه، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: **«الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»**[3].

٥- العدل في الدعوة إلىٰ الأخلاق

المطلوب في الدعوة إلىٰ الأخلاق: هو الاعتدال في تحقيقها دون إفراط ولا تفريط؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ

---

(١) ينظر: نضرة النعيم ١/ ٨٢.

(٢) ينظر: نضرة النعيم ١/ ١٤٠، وتربية الإنسان الجديد، لمحمد فاضل الجمالي، ص ١٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قول الله تعالىٰ: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين (٤/ ١٤٩).

ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٧].

يقول القاسمي معلقا علىٰ الآية: «والذي يدل علىٰ أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعًا، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد أثنىٰ الله تعالىٰ عليه؛ فقال: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾»[1].

والعدل في الأخلاق: أن يكون بين طرفين مذمومين وسطا من دون إفراط ولا تفريط. وفي هذا يقول ابن القيم: «للأخلاق حدٌّ متىٰ جاوزته صارت عدوانًا، ومتىٰ قصرت عنه كان نقصًا ومهانةً، ... وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة»[2].

رابعاً: جهود العلماء في ترسيخ وسطية القيم الإسلامية ومكافحة الأفكار المنحرفة:

للعلماء جهود كبيرة في تصحيح ما أعوج من أخلاق البشر، وحثهم إلىٰ التمسك بالأخلاق الحميدة والابتعاد عن الاخلاق السيئة. وهم علىٰ ذلك سائرون ومقتدون علىٰ نهج النبي الكريم ﷺ الذي زكاه الله بحسن خلقه فقال: وإنك لعلىٰ خلق عظيم: وإذا انحرف الداعية في أخلاقه، خاصة والناس عمومًا

---

(١) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص٢٧٠).

(٢) مدارج السالكين: ص١٤٠-١٤١.

صاروا معولًا لهدم القيم وتنفير المدعوين عن دعوة الحق، ومن أبرز صور الانحراف الخلقي ما يأتي:

١ - الشدّة والغلظة والفظاظة.

الرفق خير كلّه، وهو مفتاح للقلوب المؤصدة، كما أنّ القسوة والشدة والغلظة من أسباب رد الحق، وتنفير الخَلق، كما قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]

قال السعدي: (أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك، ﴿فَظًّا﴾؛ أيّ: سيئ الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾؛ أيّ: قاسيه، ﴿لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾؛ لأنَّ هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ.

فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلىٰ دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص)[1].

وهكذا كانت وصية النبي ﷺ للدعاة، بوجوب مجانبة القسوة والغلظة

---

(١) تفسير السعدي، ٢/ ١٥٤.

والتنفير، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ، بعث معاذًا وأبا موسىٰ إلىٰ اليمن قال: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا»[1].

٢- قلّة الصبر والتبرّم من المدعوين.

الصبر مطية الإمامة في الدين، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٤]، ومن قلّ صبره قلّت بركة دعوته، ولهذا أكثر الله وصية نبيه ﷺ والدعاة من قبله بالصبر والثبات واليقين، كما قال ربّ العالمين: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥] . ولهذا من أوجه الانحراف الخلقي عند بعض الدعاة قلّة الصبر علىٰ جفاء المدعوين، والتبرّم من سوء فعالهم، فالداعية لا بدّ أن يوطّن نفسه علىٰ الصبر علىٰ الأذية، قال تعالىٰ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٦]

قال عمير بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلْيُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَىٰ الصَّبْرِ عَلَىٰ الْأَذَىٰ، فَإِنَّهُ مَنْ يَصْبِرْ لَا يَجِدْ لِلْأَذَىٰ مَسًّا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصىٰ إمامه (٤/ ٦٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٥/ ٢٣٤.

٣- بذاءة اللسان وقلّة الحياء:

ينبغي للداعية أن يكون عفّ اللسان، أسوة بخير الأنام، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: «لَمْ يَكُنِ النبي ﷺ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا»، وكان يقول: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»(١).

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا، وَلَا لَعَّانًا، وَلَا سَبَّابًا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ المَعْتَبَةِ: «مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ»(٢).

فلو أنّ الداعية أطلق لسانه بالسباب واللعان في معرض الردّ علىٰ المخالف، أو عند الخصومة ازدراه الناس وقالوه واطرحوا دعوته لما يرونه ويسمعونه من بذيء كلامه.

٤- الكذب والافتراء.

الصدق أساس الديانة والاستقامة، وهو الهادي لكل خير وبرّ وإحسان، والداعية إذا صدق في قيله وفعاله أقبل المدعوون بقلوبهم ووجوههم إليه. كما قال هرقل في شأن النبي ﷺ: «أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَىٰ النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل (٨/ ١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: ما ينهىٰ من السباب واللعن (٨/ ١٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدأ الوحي، كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ؟ (١/ ٦).

أما إذا سار الداعية بالكذب بين الناس ازدروه ومقتوه، وأعظم ما يكون الكذب ما كان متعلّقًا بالدين وبسنة سيد المرسلين، لهذا اشتد الوعيد علىٰ من افترىٰ علىٰ الله ورسوله، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٦].

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[(١)].

قال الإمام الدار قطني رحمه الله: توّعد الله بالنار من كذب عليه، بعد أمره بالتبليغ عنه، وفي ذلك دليل علىٰ أنه إنما أمر أن يبلغ عنه الصحيح دون السقيم، والحق دون الباطل، لا أن يبلغ عنه جميع ما روي؛ لأنّه قال «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[(٢)]، فمن حدّث بجميع ما سمع من الأخبار المروية عن النبي ﷺ ولم يميّز صحيحها من سقيمها، وحقها من باطلها، باء بالإثم، وخيف عليه أن يدخل في جملة الكاذبين علىٰ رسول الله ﷺ بحكم رسول الله ﷺ أنه منهم[(٣)].

ولا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ ما كان في الأحكام، وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب وغير ذلك، فكلّه حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح، بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع، كما قال الإمام النووي[(٤)].

٥- ترك الزهد والتوسع في المباح.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إثم من كذب علىٰ النبي ﷺ (١/ ٣٣).

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع (١/ ١٠).

(٣) «الضعفاء والمتروكين»، للدارقطني ١/ ١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٩.

إنّ توسع الداعية في المباحات يصدّ الناس عن دعوته، خصوصًا إن كان دعوهم للزهد والتقلل من الدنيا وهم يرونه متوسعًا فيها، وليس في هذا تحريم ما أحلّ الله من الطيبات وإنما التوسع الزائد موجبٌ للصد عن دعوة الحق.

قال الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم -رضي الله عنك- أن أقرب ما استُدْعِيَ به قلوبُ المريدين، ونُبِه به قلوبُ الغافلين، وزُجِرتْ عنه نفوس المتخلفين، ما صدَّقته من الأقوال جميع ما اتبع به من الأفعال، فهل يحسن يا أخي أن يدعو داع إلىٰ أمر لا يكون عليه شعاره؟ ولا تظهر منه زينته وآثاره؟ وألا يكون قائله عاملا فيه بالتحقيق؟ وبكل فعل بذلك القول يليق؟

وأُفِكَ من دعا إلىٰ الزهد وعليه شعار الراغبين، وأمر بالترك وكان من الآخذين، وأمر بالجد في العمل وكان من المقصرين، وحثّ علىٰ الاجتهاد ولم يكن من المجتهدين، إلا قلَّ قبول المستمعين لقيله، ونفرت قلوبهم لما يرون من فعله، وكان حجَّة لمن جعل التأويل سببًا إلىٰ اتباع هواه، ومسهلًا لسبيل من آثر آخرته علىٰ دنياه»[1].

٦- الكبر والعجب بالنفس.

ينبغي للداعية أن يكون أبعد الناس عن خلق الكبر والاعتداد بالنفس، وقد ورد النهي والتحذير من الكبر لعموم الناس وهو في حق الداعية أشدّ نهيًا، فعن أبي سعيد الخدري وأبىٰ هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «قال الله ﷻ: الْعِزُّ إِزَارِي،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٦٠.

وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ»[1].

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحارث بن معاوية الكندي: أخشىٰ عليك أن تقصّ فترتفع عليهم في نفسك، ثم تقصّ فترتفع حتىٰ يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك[2]. ومن ذلك الكبر بالعلم والنسب والمال والجاه وغير ذلك من وجوه الكبر المذموم.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٢٨٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ١/ ٢٦٦، قال ابن مفلح: إسناده جيد، «الآداب الشرعية» ٢/ ٥٤.

ثالثًا: العالمية: مفهومها وأهميتها وآثارها.

أولًا: مفهوم العالمية.

أ- مفهوم العالمية في اللغة:

كلمة (العالمية) مبنية علىٰ ثلاثة أحرف، وهي: العين واللام والميم، وقد قال ابن فارس عنها: «الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ»[1]، ثم قال: « وَمِنَ الْبَابِ: الْعَالَمُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ مِنَ الْخَلْقِ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ مَعْلَمٌ وَعَلَمٌ، وَقَالَ قَوْمٌ: الْعَالَمُ سُمِّيَ لِاجْتِمَاعِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالُوا: الْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ[2]، وقال الفيروز آبادي: «والعالَمُ: الخَلْقُ كُلُّهُ، أو ما حَواهُ بَطْنُ الفَلَكِ»[3]، وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة قولهم: « عالمية مفرد: اسم مؤنث منسوب إلىٰ عالَم»[4].

ب- مفهوم العالمية في الاصطلاح.

قبل تحديد مفهوم العالمية المختص بموضوعنا هذا: أحب أن أشير إلىٰ اختلاف العلماء في تحديد معنىٰ لفظ (العالمين) الوارد في الآية، فمنهم من فسَّره بأربعة أجناس، وهم الملائكة والإنس والجن والشياطين، وأنه لا تدخل فيه البهائم والطير -وغيرها-؛ لأنها لا تعقل[5]، ومنهم من فسَّره بكل ما خلق الله في

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ١٠٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/ ١١٠.

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣/ ٣٢٥.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٥٤٣.

(٥) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ١/ ٥٢

الدنيا والآخرة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الزجاج: العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة. قال القرطبي: وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين؛ والعالم مشتق من العلامة (قلت): لأنه علم دال علىٰ وجود خالقه وصانعه ووحدانيته[1].

فبالنظر إلىٰ هذه المعاني اللغوية والاصطلاحية للفظ (العالمية) يتبين معنىٰ العالمية المراد منه في هذا الموضوع، وهو: دلالة علىٰ شمول القيم الإسلامية علىٰ جميع الأجناس في العالم دون تمييز بينهم بجنس أو لون أو قوم أو لغة - وغير ذلك-، وأن الأوامر التطبيقية لها تشمل جميع من في أقطار الدنيا من الجن والإنس وغيرهم علىٰ حد سواء.

ثانياً: أهمية العالمية في القيم الإسلامية:

إن أهمية العالمية في القيم الإسلامية واضحة وجلية، ومضمونها تدل علىٰ وجوب شمولها للجن والإنس في العالم الأجمع بدون تمييز بينهم في القبائل والجنسيات والألوان، ومما يدل علىٰ ذلك أدلة كثيرة منها ما يأتي:

١- **أن القيم الإسلامية موجّه لمن في العالم من الناس.** قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، فيوجه الله تعالىٰ خطابه للعالمين، ويتضمن تنبيههم بأن تنوع القبائل والشعوب للتعارف فقط، ويجب علىٰ الجميع التحلي بتقوىٰ الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٣٣.

تعالىٰ، وهي من أسمىٰ كمالات الأخلاق.

٢- **أن القيم الإسلامية رحمة للعالم أجمع**: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧]، فالله تعالىٰ أرسل نبيه ﷺ رحمة للعالمين؛ لتوجيههم إلىٰ المحاسن العقدية والتعبدية والأخلاقية -وغيرها- دون تمييز بينهم بقبائل ولغات وألوان -وغيرها-.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في تفسيره لهذه الآية-: «يخبر تعالىٰ أن الله جعل محمدا ﷺ رحمة للعالمين؛ أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة»[1].

٣- **هدف القيم الإسلامية هي إنذار الإنس والجن**: قوله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ١]؛ أي: أن هدف إنزال القرآن الكريم: ليكون نذيرا للجن والإنس دون تفريق بينهم وتمييز في أجناسهم، ويدخل في هذا النذير: مخالفة القيم الإسلامية.

ثالثًا: آثار العالمية في القيم الإسلامية:

للعالمية آثار إيجابية مهمة في القيم الإسلامية، وتتبين هذه الآثار ومظاهرها في عدة نقاط منها ما يلي:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٨٥.

١- **أن العالمية تُميِّز الأخلاق الإسلامية عن غيرها من الأخلاق،** فتكون منفردة في عدلها وانتشارها وتيسيرها ورأفتها للخلق -وغير ذلك-؛ وذلك لأن القيم الفاقدة للعدل والرحمة بالناس والتيسير لهم لا يمكن أن تلقىٰ قبولًا في أوساط المجتمعات المتعددة الجنسيات والألوان والقبائل والعادات، وهذه الأمور تجدها في القيم الإسلامية فقط، ولذلك لقيت كثيرًا من الإقبال في كل المجتمعات والقبائل بمختلف أجناسهم في مشارق الأرض ومغاربها دون غيرها من القيم، وهذا يُصدِّق قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧]، فرحمته لهم أثمرت الإقبال للإسلام وعقيدته الصافية وأخلاقه الكاملة -وغير ذلك من أنواع العبادات-.

٢- **أن العالمية تعطي كل أحد شعور الاشتياق للانتماء لهذه القيم دون أي إحساس يعزله عنها،** وذلك لأن خطاب القرآن الكريم يتوجه إلىٰ الجميع دون تمييز بينهم، ومثال علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ -في تفسيره لهذه الآية-: «يقول تعالىٰ لنبيه ورسوله محمد ﷺ (قل) يا محمد: (يا أيها الناس) وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، (إني رسول الله إليكم جميعا)؛ أي:

جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلىٰ الناس كافة»[1].

فكما تلاحظ في هذه الآية أن الله تعالىٰ يعلن للخلق كلهم أن رسالة نبيه ﷺ الحامل لكثير من القيم الإسلامية الحقة تشمل الناس كافة دون تفريق بينهم، والسامع لهذا الكلام في أي مكان في العالم ومن أي جنسية وقبيلة كانت يشعر بفخر واعتزاز به، وهو من أهم الآثار الإيجابية لخصيصة العالمية في القيم الإسلامية.

٣- **أن العالمية جعلت القيم الإسلامية تنتشر في العالم الإسلامي وفي الأقليات الإسلامية دون تفاوت بينها**، فتجد القيم الإسلامية التي في قارة أفريقيا هي نفسها التي في قارة آسيا وأوروبا وأمريكا -وغيرها من المجتمعات-، ولم تنتشر هذه القيم بالترويجات الإعلامية الكاذبة، ولا بالقوة العسكرية القاسية؛ وإنما انتشرت بالوحي القرآني والسنة النبوية، وبالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٨٩.

رابعاً: السماحة واليسر. مفهومها وأهميتها وآثارها

أولاً: مفهوم السماحة واليسر في القيم الإسلامية.

أ- مفهوم السماحة واليسر في اللغة.

السماحة لغة من كلمة (سمح)، قال ابن فارس: «السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ سَلَاسَةٍ وَسُهُولَةٍ، يُقَالُ سَمَحَ لَهُ بِالشَّيْءِ، وَرَجُلٌ سَمْحٌ، أَيْ: جَوَادٌ، وَقَوْمٌ سُمَحَاءُ وَمَسَامِيحُ، وَيُقَالُ: سَمَّحَ فِي سَيْرِهِ، إِذَا أَسْرَعَ»[1].

وأما اليسر في اللغة فمن كلمة (يسر)، قال ابن فارس: «الْيَاءُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ: أَصْلَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَىٰ انْفِتَاحِ شَيْءٍ وَخِفَّتِهِ، وَالْآخَرُ عَلَىٰ عُضْوٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ، فَالْأَوَّلُ: الْيُسْرُ: ضِدُّ الْعُسْرِ. وَالْيَسَرَاتُ: الْقَوَائِمُ الْخِفَافُ. وَيُقَالُ: فَرَسٌ حَسَنُ التَّيْسُورِ؛ أي: حَسَنُ نَقْلِ الْقَوَائِمِ... وَيُقَالُ: رَجُلٌ يَسْرٌ وَيَسَرٌ؛ أي: حَسَنُ الِانْقِيَادِ. وَالْيَسَارُ: الْغِنَىٰ. وَتَيَسَّرَ الشَّيْءُ وَاسْتَيْسَرَ. وَيُسْرٌ: مَكَانٌ»[2]، فالسماحة واليسر في اللغة كلمتان تدلان علىٰ سهولة وجود وحسن فهما ضد العسر والتعسير.

ب- السماحة واليسر في الاصطلاح:

من معاني السماحة في الاصطلاح هو: «السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه، ومعنىٰ كونها محمودة: أنها لا تفضي إلىٰ ضرر أو فساد»[3].

واليسر هو: «عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم، أو بعبارة أخرىٰ: هو

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٩٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ١٥٥-١٥٦.

(٣)بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو لجمع من المؤلفين ص ٧٤.

عمل فيه يسر وسهولة وانقياد»[1].

ويظهر من هذين التعريفين تقارب بين السماحة واليسر في المعنىٰ، وكلا الكلمتين تدلان علىٰ السهولة والتيسير وعدم الشدة المذمومة، والابتعاد عن تعسير الأمور، وضرورة الاعتناء بالوسطية في كل شيء حسب التوجيهات الربانية.

عن جَابِرِ بن عبد اللّهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسولَ اللّهِ ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَىٰ وَإِذَا اقْتَضَىٰ»[2].

ثانياً: أهمية السماحة والتيسير في القيم الإسلامية:

للسماحة والتسيير في القيم الإسلامية أهمية كبيرة ولا يمكن الاستغناء عنهما؛ لأن بهما تتحقق الرأفة واللين وكظم الغيظ وحسن التعامل بين الناس والحكمة -وغيرها من خصال القيم الحميدة-، وهذه الخصال وأمثالها قد جاء الحث عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن الأدلة الحاثة عليها ما يأتي:

١- أنها سبب في التقارب والاجتماع والألفة: قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

---

(١) المرجع السابق: ص ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب البيوع- باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ٢/ ٧٣٠.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ -في تفسيره لهذه الآية وبيان تضمنها لبعض خصال الأخلاق الحميدة-: المراد به هاهنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: (غليظ القلب) أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: إنه رأىٰ صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[1].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ -في إيضاحه لأهمية الخصال التي وردت في هذه الآية في ترسيخ القيم الصحيحة في الإنسان-: «أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك، (ولو كنت فظًّا)؛ أي: سيئ الخلق (غليظ القلب)؛ أي: قاسيه، (لانفضوا من حولك)؛ لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ. فالأخلاق الحسنة، تجذب الناس إلىٰ دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟! أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به ﷺ، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالًا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله، ثم أمره الله تعالىٰ بأن يعفو عنهم ما صدر منهم من التقصير في حقه ﷺ، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان»[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٤٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ١٥٤.

فأنت ترىٰ هنا كيف أن الله تعالىٰ وصف نبيه ﷺ بأحسن القيم الأخلاقية، وهي: لين القول والقلب، وبعيد عن السخاب والقسوة والإساءة للآخرين بظلم وعدوان، فهو ﷺ لين الجانب في تعامله مع الآخرين وفق ما شرعه الله تعالىٰ.

٢- امتنان الله ﷻ أن بعث إلينا رسولًا رؤوفًا رحيما بأصحابه وأتباعه: قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

فقد وصف الله تعالىٰ نبيه ﷺ هنا بالرأفة والرحمة لأصحابه، وأثنىٰ علىٰ حرصه الشديد لهداية قومه إلىٰ الحق، ومعرفة ما يشق عليهم وحل مشاكلهم، وهذه من أسمىٰ مكارم الأخلاق التي يجب علىٰ كل أحد التحلي بها في تعايشه مع الآخرين.

٣- حث الله ﷻ الدعاة أن يلتزموا بخصال مدارها علىٰ اليسر والسماحة في دعوتهم: قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

ففي هذه الآيات حث علىٰ عدة خصال من خصال القيم الإسلامية، وهي: دعوة الناس إلىٰ الإسلام بالحكمة لا بالعنف والقتل والدمار وإراقة دماء الآمنين، والموعظة الحسنة لا بالسب والشتم وتكفير المسلمين بظلم وعدوان، والمجادلة بالتي هي أحسن لا بالحيل والأكاذيب والاعتداء والظلم والفجور في الخصومة، والمعاقبة بالمثل والمنع منعًا باتًّا مجاوزة الحد فيها، والصبر علىٰ المعتدين وفق ما شرع الله تعالىٰ في ذلك، وعدم التأثر بمكائد المعتدين، والالتزام بالإحسان.

٤- الحث على التعامل مع غير المسلمين بالبر والعدل: قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الممتحنة: ٨-٩]. يأمر الله تعالىٰ في هذه الآية على البر والعدل حتىٰ مع غير المسلمين المسالمين، وهو من أكبر خصال القيم الإسلامية القيمة، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة كما قال تعالىٰ عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلمًا: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة لقمان: ١٥]»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٥٦.

ثالثًا: آثار السماحة واليسر في القيم الإسلامية:

للسماحة واليسر في القيم الإسلامية آثار إيجابية واضحة، ومن أهم تلك الآثار:

١- التدرج في دعوة حديثي العهد بالإسلام:

وهو من آثار السماحة واليسر، يدلّ علىٰ ذلك حديث عَنِ ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه عَلَىٰ اليَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[1].

٢- فتح باب الرخص والتخفيف:

من ملامح وآثار السماحة واليسر في الشريعة: الرخص والتخفيف في الأحكام، وعدم التكليف بما لا يطاق؛ ويظهر رفع الحرج في باب العبادة واضحًا في الرخص والتخفيفات التي تدل علىٰ اليسر ورفع الحرج في عباداته وتكاليفه في عامة الأحوال.

والقرآن الكريم، والسنة النبوية شرعت ألوانًا من الاستثناءات والإعفاءات والتسهيلات في أحوال خاصة، وهي تلك التي توجد للإنسان نوعًا من المشقة يؤوده ويثقل ظهره، ويقعد به عن مواصلة السير، فالسفر مثلًا تقتضيه مطالب

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٢/ ١١٩).

الحياة التي جاء الدين بإقرارها، بل بتمجيدها والدّعوة إليها.

- فجعل للمسافر في الصّلاة القصر: يصلي الرباعية - كالظهر والعصر والعشاء- ركعتين فقط، وقال الرسول ﷺ في ذلك: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**»(١).

- وفي صيام رمضان رخص المولىٰ ﷻ للمسافر في الإفطار، بل أوجبه عليه إذا كان في صومه مشقة ظاهرة عليه، ففي الصّحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَرَأَىٰ زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»**»(٢).

٣- مداراة غير المسلم وحسن التعامل معه مما لا يتنافىٰ مع الشرع الحكيم.

من ملامح وآثار السماحة واليسر: آداب حسن المعاملة مع الكافر، ومداراته، وإكرامه، وحسن استقباله، فعن عائشة رضي الله عنها: «**أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، أَوْ بِئْسَ رَجُلُ الْعَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قُلْتَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ؟ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ وَدَعَهُ، أَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة المسافرين وقصرها (١/ ٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب (٨/ ١٧).

(٣) تقدم

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الحديث: «قال القرطبي: في الحديث.. جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلىٰ المداهنة في دين الله تعالىٰ. والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معًا، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقولٍ، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة... »[1].

- وأيضًا من المداراة والفعل الحسن، عيادة مريضهم، وإكرام وفدهم، تأسيًا بالنبي ﷺ في صنيعه مع عدي بن حاتم الطائي قبل إسلامه.

فعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ فَقَالَ القَوْمُ: هَذَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ وَجِئْتُ بِغَيْرِ أَمَانٍ وَلَا كِتَابٍ، فَلَمَّا دُفِعْتُ إِلَيْهِ أَخَذَ بِيَدِي، وَقَدْ كَانَ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللهُ يَدَهُ فِي يَدِي»، قَالَ: فَقَامَ فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيٌّ مَعَهَا، فَقَالَا: إِنَّ لَنَا إِلَيْكَ حَاجَةً. فَقَامَ مَعَهُمَا حَتَّىٰ قَضَىٰ حَاجَتَهُمَا، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي حَتَّىٰ أَتَىٰ بِي دَارَهُ، فَأَلْقَتْ لَهُ الوَلِيدَةُ وِسَادَةً فَجَلَسَ عَلَيْهَا، وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا يُفِرُّكَ أَنْ تَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سِوَىٰ اللهِ؟». قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا يَفِرُّ أَنْ تَقُولَ اللهُ أَكْبَرُ، وَتَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرُ مِنَ اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا»[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمر تعالىٰ بمصانعة شيطان الإنس، ومداراته بإسداء

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٤٥٤.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومن سورة الفاتحة، رقم: ٢٨٧٨، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٥/ ٢٠٢.

الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذىٰ... »[1].

٤- إنزال الناس منازلهم:

من ملامح وآثار السماحة واليسر، مناداة غير المسلمين بما يليق بهم من ألقاب يستحقونها، وتحيتهم تحية مناسبة، كقوله ﷺ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يقل: إلىٰ هرقل فقط، بل أتىٰ بنوع من الملاطفة فقال: «عظيم الروم»؛ أي: الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر الله تعالىٰ بإلانة القول لمن يدعىٰ إلىٰ الإسلام، فقال تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ وغير ذلك[2].

٥- المبادأة والمبادرة:

من ملامح وآثار السماحة واليسر المبادرة إلىٰ دعوتهم قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤].

فينبغي علىٰ الداعية أن يكون شديد الحرص علىٰ هداية الخلق، وإيصال الحق إليهم أسوة بنبيه محمد ﷺ الذي كان يغشىٰ الكفار والمشركين في مجالسهم، ومحافلهم، وبيوتهم ليعرض عليهم دعوة الحق؛ ومن شواهد ذلك:

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٦.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ١٠٨.

ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي المَسْجِدِ، خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَىٰ يَهُودَ»، فَخَرَجْنَا حَتَّىٰ جِئْنَا بَيْتَ المِدْرَاسِ[1] فَقَالَ: «أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ، فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»[2].

وعن أنس ﷺ قال: «كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[3].

---

(١) هو: البيت الذي يدرُسُون فيه، النهاية في غريب الأثر ٢/ ٢٥٠.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجزية، باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب ٣/ ١١١٥، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: إجلاء اليهود من الحجاز ٣/ ١٣٨٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلىٰ عليه ١/ ٤٥٥.

خامساً: الشمولية والواقعية:
مفهومها وأهميتها وآثارها

أولاً: مفهوم الشمولية والواقعية.

أ- مفهوم الشمول:

المقصود بالشمول لغةً: مأخوذ من الفعل الثلاثي (شمل)، ومن معانيه الإحاطة والعموم[1].

كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨]. قال القرطبي في تفسيره: (أي: في القرآن؛ أي: ما تركنا شيئًا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقىٰ بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب)[2]

ب- مفهوم الواقعية:

يُفيد الفعل الثلاثي (وَقع)، واشتقاقاته يقع، وقعًا، ووقوعًا: السقوط، وإنزال الشيء علىٰ الشيء، فالقيم الإسلامية قيم واقعية تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المستيقن والأثر الواقعي الإيجابي، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع مثاليات لا وجود لها في الواقع.

فالقيم الإسلامية تتمثل فيها صفة الشمول والواقعية من نواح عدة:

---

(١) لسان العرب. لابن منظور ٢/ ٣٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ٦/ ٤٢٠

١- فهي شاملة وواقعية لكل ما يصلح الفرد والمجتمع.

٢- وهي شاملة لجميع مناشط الحياة الإنسانية.

٣- وهي شاملة وواقعية لكل العلاقات التي تربط المسلم بغيره سواءٌ علاقته بربه أو بالمسلمين أو غير المسلمين أو علاقته بالحيوان والجماد وجميع مخلوقات الله.

٤- وهي شاملة وواقعية في تلبيتها لحاجات النفس والعقل والوجدان والجسد.

ثانياً: أهميتها الشمولية والواقعية في القيم الإسلامية:

أولًا: الشمولية:

إن الأخلاق عند أهل السنّة والجماعة ليست محصورة في نطاق معين من نطاقات السلوك، إنما هي من أصول الدين وأسسه المتينة؛ وشاملة لكل شيء قال تعالىٰ واصفا رسوله ﷺ بأعظم الصفات: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: علىٰ دين عظيم وهو الإسلام[1].

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ أجابت بأن «خُلُقُه القُرْآن»[2].

يقول قَتَادَةُ: «هُوَ مَا كَانَ يَأْتَمِرُ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَيَنْتَهِي عَنْهُ مِنْ نهىٰ الله، وَالمعْنَىٰ إِنَّكَ لعلىٰ الْخُلُقِ الَّذِي أَمَرَكَ اللَّه بِهِ فِي الْقُرْآنِ»[3].

والمتأمل في النصوص الشرعية يجد أنها لم تدع جانبًا من جوانب شخصية

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ١٨٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤١/ ١٤٨).

(٣) تفسير البغوي (٥/ ١٣٠.

الإنسان المتعلقة بالسلوكيات والأخلاق إلا وضحتها وبينت المنهج الأمثل والسلوك الصحيح بشكل متكامل شامل معتدل واقعي. ومن نماذج ذلك: [1].

١- القيم المتعلقة بجوانب شخصية الإنسان المختلفة:

أ- القيم المتعلقة بحاجاته الجسمية من الأكل والشرب وغير ذلك، قال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [سورة لأعراف: ٣١]، وجاء في السنة مفصلة بتفصيل أوسع وأكثر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: «مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ»[2].

ب- القيم المتعلقة بالجانب التفكيري؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة يونس: ١٠١] وفي الحديث: «تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللهِ ﷻ»[3].

ج- القيم المتعلقة بالجانب الاقتصادي، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٩]

---

(١) ينظر: وَسطيَّة الأَخْلَاق عَلىٰ ضَوْء الكِتَابِ والسُّنَّة، لعلي مهاما ساموه، بحث منشور ضمن ندوة الوَسَطيَّة مَنْهَج ربَّاني وَمَطْلبٌ إنْسَاني، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده (٣/ ٥٧).

(٣) شرح معتقد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٢٥) والبيهقي في شعب الإيمان، ١/ ١٣٦ والحديث حسنه الألباني بمجموع طرقه السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (١٧٨٨).

وفي الحديث عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنهما، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: «لَا» ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ -أَوْ كَثِيرٌ- إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ»[1].

٢- القيم المتعلقة بالأسرة:

أ- القيم المتعلقة بالزوجين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [سورة النساء: ١٩].

وفي الحديث: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: رثاء النبي ﷺ سعد ابن خولة (٢/ ٨١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب: الوصية بالنساء (٢/ ١٠٩٠).

ب- القيم المتعلقة بالأبوين والأولاد، قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٥].

وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ، أَنَّ أَبَاهُ نَحَلَ ابْنًا لَهُ غُلَامًا، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ يُشْهِدُهُ، فَقَالَ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ مَا نَحَلْتَ هَذَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَارْدُدْهُ»[1].

٣- القيم المتعلقة بالمجتمع:

أ- القيم المتعلقة بالمجتمع وأخلاقياته، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النور: ٢٧]

وفي الحديث: «الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ»[2].

ب- القيم المتعلقة بالمعاملات والبيوع، قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ [سورة المطففين: ١-٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الأحكام، باب: ما جاء في النحل والتسوية بين الولد: ١٣٧٦ وقال: حديث صحيح حسن.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب: الاستئذان (٣/ ١٦٩٤).

وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

ثانيًا: الواقعية:

منهج أهل السنّة والجماعة يقوم علىٰ الواقعية في الدعوة إلىٰ القيم الإسلامية؛ بما يوافق قدراته واستعداداته النفسية.

ومن الشواهد علىٰ هذه الواقعية:

١- مراعاة تفاوت الناس في تحقيق القيم وإقرارهم علىٰ ذلك:

الناس متفاوتون في التحلي بالقيم الإسلامية؛ فمنهم السباق ومنهم دون ذلك، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر: ٣٢]

والدليل من السنة علىٰ تفاوت الناس في العبادات والأخلاق والمعاملات، قوله ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا» (١/ ٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم (٥/ ٦٦٤).

٢- الدعوة إلىٰ إصلاح الأخطاء الخلقية:

البشر لا يسلمون من ارتكاب الأخطاء الخلقية؛ لأن النفس مجبولة علىٰ حب الشهوات وارتكاب المنكرات؛ قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤] وقال ﷺ: «**كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون**»[(١)].

ولذا فإن من واقعية القيم الإسلامية تقدير الطبيعة البشرية ومراعات حقها، وتدعو من تجاوز الحد للتوبة والاستغفار وإتباع السيئة بالحسنة، قال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: ٣١].

وفي الحديث: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ**

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: (٤/ ٦٥٩) وابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب: ذكر التوبة (٤٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٤٥١٥.

النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1][2]

٣- الواقعية في الحكم القيم الإسلامية:

من واقعية القيم الإسلامية عدم الحكم علىٰ شخص بخلق ما إذا صدرت منه علىٰ وجه الندرة؛ سواء لعارض أم لحاجة؛ فلا يصف الكريم بالبخل إذا طرأ له طارئ مالي ولم يبذل في حاجات الناس، وفي المقابل من يصدر عنه الإنفاق علىٰ وجه الندرة لمصلحة شخصية لا يقال: خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ.

وهذا الحكم مستنبط من الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أن النبي ﷺ قال عن ناقته القصواء: «ما خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ»[3] يقول ابن حجر رحمه الله: «جواز الحكم علىٰ الشيء بما عرف من عادته، وإن جاز أن يطرأ عليه غيره، فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها لا ينسب إليها»[4].

ثالثًا: آثار الشمولية والواقعية:

تظهر آثار شمولية القيم الإسلامية وواقعيتها في أمور:

١ - أنها جاءت متناسبة مع طبيعة البشر وإمكاناتهم وحدود طاقاتهم البشريّة.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب معاشرة الناس (١٩٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) وسطية الأخلاق علىٰ ضوء الكتاب والسنة د. علي مهاما سامو، ص١٥

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٣/ ١٩٣).

(٤) فتح الباري لابن حجر٥/ ٣٣٥.

٢- أنها تحاول أن ترتقي بالنفس البشريّة، فتحثّها إلىٰ السعيِ نحو المثل العليا، والرقيّ في درجات الكمال.

والأدلّة علىٰ آثار الشمولية والواقعية ما يأتي:

١- في التخيير في الطهور يوم الجمعة: عن سَمُرَةَ ﷺ قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «**من تَوَضَّأَ يوم الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ وَمَنْ اغْتَسَلَ فَهُوَ أَفْضَلُ**»(١).

٢- في عدم إطالة الإمام في صلاة الجماعة: حتىٰ لا يحمّل الإمامُ أحدًا من جماعة المصلين فوق طاقته. قال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ، فَلْيُوجِزْ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ**»(٢).

٣-في الزكاة: قال رسول اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بن جَبَلٍ ﷺ حين بَعَثَهُ إلىٰ الْيَمَنِ: «**... فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ**»(٣).

٤- الموازنة بين متطلبات الروح والجسد(٤):

كما قال رسول اللهِ ﷺ: «**... أَمَا واللهِ إني لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ له لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي**

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب: في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة (١/ ٩٧)، والنسائي في السنن، كتاب الجمعة، باب: الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة، (٣/ ١٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (١/ ٣٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٢/ ١٢٨).

(٤) وَسطيَّة السُّنَّة النَّبويَّة في أُسلُوبِ الدَّعْوَة وَمَضْمُونِهَا، ص ٤٢. ص ٤٦.

فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

وفي حديث سَلْمَان وقوله لأبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَأَتَى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ»[2].

فالقيم الإسلامية شاملة وواقعية توازن بين جميع الحقوق الروحية والجسدية والتعبدية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح (٧/ ٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب التهجد، باب: من نام أول الليل وأحيا آخره (٢/ ٥٣).

الأسس التي تقوم عليها القيم الإسلامية.

تقوم القيم الإسلامية علىٰ أسس وأصول متينة، ومن أهم تلك الأسس ما يأتي:

أولًا: نصوص الوحي[1].

إن المتأمل لخصال القيم الإسلامية فإنه يجدها كلها وحيا من الله تعالىٰ، ويجدها في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا تنسب أي قيمة من القيم للإسلام إذا لم تكن مصدرها القرآن والسنة، ويمكن ذكر بعض القيم الإسلامية ومصدرها من القرآن والسنة فيما يأتي:

١-العدل وأداء الأمانة، ومن مصادرهما من الوحي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [سورة النساء: ٥٨].

٢-إفراد الله تعالىٰ في عبادته وعدم الإشراك به شيئًا، وبر الوالدين، والإمساك عن الاعتداء علىٰ الآخرين بظلم -كالقتل ونحوه-، والإمساك عن اقتراف الفواحش الظاهرة والباطنة، ومن مصادرها قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا

---

(١) سبقت الإشارة إلىٰ هذا في مصادر القيم الإسلامية، وهي الكتاب والسنة والإجماع.

بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

٣- الحلم والعفو والصبر، ومن مصادرها قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [سورة الشورىٰ: ٤٣].

٤- الجود والكرم والسخاء، ومن مصادرها ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من صفات النبي ﷺ حيث قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عليه السلام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّىٰ يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[1].

وما ذكره أنس رضي الله عنه من صفات النبي ﷺ حيث قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ»[2].

فهذه أمثلة لبعض خصال القيم الإسلامية ومصدرها من القرآن والسنة، وكل نمة من القيم الإسلامية لا بد من أن تكون لها مصدر إلهي؛ لأن من خصائص القيم الإسلامية الربانية، وقد تقدم إيضاح ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب: أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان ٣/ ٢٦ رقم ١٩٠٢. ومسلم في صحيحه، باب: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٤/ ١٨٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب (٤/ ١٨٠٢).

ثانياً: قيامها على الجانب العملي والنظري.

من أهم ما يميز القيم الإسلامية النظرة التكاملية بين الجانب العملي والجانب النظري، والجانب الجسدي ومتطلباته من الأكل والشرب والملبس وغيره، ومن الجانب الوحي ومستلزماته من التعلق بالله والإخلاص له والذكر الدائم والفكر والتأمل بخلقه.

أما غير المسلمين فهذا منعدم عندهم تماما فجميع القيم الإسلامية تشمل الجانب النظري والعملي... ومن الأمثلة علىٰ القيم الإسلامية في الجانب العملي: كف الأذىٰ عن الآخرين، وإماطة الأذىٰ عن الطريق، وكظم الغيظ، والعدل بين الناس في الحكم والكلام والمعاملات، والإحسان إلىٰ الوالدين بالدعم المالي والمعنوي وخدمتهم -وغير ذلك-، ويتمثل الجانب النظري: في الأوامر الربانية وتعليمات العلماء في وجوب الالتزام بهذه الأخلاق الإسلامية الرصينة، فأمره تعالىٰ بالتخلق بالحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وتعلم الناس ذلك في الكتب والمدارس شيء نظري يتطلب من المسلمين تطبيقه عمليًّا.

ثالثًا: الالتزام بالأوامر الشرعية.

إن من ضروريات القيم الإسلامية: الالتزام بالأوامر الشرعية لحفظ الأمن العام، وذلك لأن القيم الإسلامية تقوم على ما أمر الله تعالىٰ وما نهاه، فمن تمسك ببر الوالدين -مثلا- أو العدل والإحسان والعفو والسخاء والإنفاق وصلة الرحم فقد تمسك بالآيات والأحاديث التي تأمر وتحث علىٰ هذه القيم، ومن ترك الرياء والتكبر والتهور والظلم والغيبة والنميمة -وغير ذلك- فقد تمسك بالآيات والأحاديث التي تنهىٰ عن هذه الأخلاق الذميمة.

وقد حث الله تعالىٰ في كتابه ونبيه ﷺ في أحاديثه علىٰ وجوب الالتزام بالأوامر الشرعية في جميع المجالات ومنها المجالات الأخلاقية، ومن تلك الأدلة ما يأتي:

١ -قوله تعالىٰ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣]، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «ثم خاطب الله العباد، وألفتهم إلىٰ الكتاب فقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾؛ أي: الكتاب الذي أريد إنزاله لأجلكم، وهو الذي يريد أن يتم تربيته لكم، فأنزل عليكم هذا الكتاب الذي، إن اتبعتموه، كملت تربيتكم، وتمت عليكم النعمة، وهديتم لأحسن الأعمال والأخلاق ومعاليها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾؛ أي: تتولونهم، وتتبعون أهواءهم، وتتركون لأجلها الحق، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ فلو تذكرتم وعرفتم المصلحة، لما آثرتم الضار علىٰ

النافع، والعدو علىٰ الوليّ»[1].

٢-قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر: ٧]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «أَيْ: مَهْمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ، وَمَهْمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يَنْهَىٰ عَنْ شَرٍّ»[2] وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين علىٰ العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ علىٰ حكم الشيء كنص الله تعالىٰ، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد علىٰ قوله»[3].

٣-قوله ﷺ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[4].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ -في شرحه لهذا الحديث-: «هَذَا مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ الْمُهِمَّةِ وَمِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُعْطِيَهَا ﷺ ويدخل فيها مَا لَا يُحْصَىٰ مِنَ الْأَحْكَامِ»[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٢٨٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٦٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٨٥٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩/ ٩٤ رقم ٧٢٨٨ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ٩/ ١٠٢.

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالذي يتعين علىٰ المسلم الاعتناء به والاهتمام أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك، والوقوف علىٰ معانيه، ثم يشتغل بالتصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية، وإن كان من الأمور العملية، بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر، واجتناب ما ينهىٰ عنه، وتكون همته مصروفة بالكلية إلىٰ ذلك؛ لا إلىٰ غيره»[1].

فهذا جزء يسير من النصوص الشرعية الآمرة بوجوب الالتزام بالأوامر الشرعية عموما، ولا شك أن القيم الإسلامية وخصال الأخلاق الحميدة داخلة في هذه الأوامر، فيجب علىٰ كل مسلم معرفة ما أمر الله تعالىٰ به وما نهاه عنه في جانب القيم الإسلامية، والأخذ بهذه الأوامر طاعة لله تعالىٰ ورسوله ﷺ.

والالتزام بالأوامر الشرعية يحقق مقاصد الدين الكبرىٰ وهو العمل علىٰ حفظ الأمن العام، وإرساء دعائمه في المجتمع، بتأصيل القيم الحميدة، والضرب بيد من حديد علىٰ كل من تسول له نفسه أن يفكر في تقويضه أو تبديده أو تهديده.

ولأجل هذا حرم الله الجرائم الكبرىٰ والأخلاق الرذيلة، مثل: الحرابة، والسرقة، والقذف، والقتل، وغيرها، وشرع لها ما يردع مرتكبيها أو من يفكر في ارتكابها، مثل: حدّ الحرابة، وحدّ السرقة، وحدّ القذف، والقصاص، وغيرها[2].

ومن المفاهيم الكبرىٰ والمقاصد العليا: إيجاد الحرية والحفاظ عليها، ونشر العدالة، وتحقيق المساواة، وإشاعة التسامح، وكل الأخلاق والمبادئ

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: «معالم الوسطية في الوقاية من العنف والتطرف»، وصفي عاشور أبو زيد، ٣١-٣٢.

الإنسانية التي اتفقت عليها البشرية، وتواضعت عليها الإنسانية.

ففي الحرية وبخاصة الجانب الاعتقادي يقول القرآن: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

وفي العدالة: يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحديد: ٢٥].

ولهذا ارتبط الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام بشرط المقصد والإخلاص لرب العالمين، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠]، وفي الحديث: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (٤/ ٢٠).

رابعًا: موافقتها للفطرة.

إن من أسس القيم الإسلامية وأخلاقها الرفيعة: موافقتها للفطرة السليمة، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهو الإسلام الصحيح المعتدل الذي جاء به الشرع الحكيم، وكل خصلة من خصال الإسلام من العدل والسخاء والإحسان وبر الوالدين والقسط -وغيرها- من الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، وقد أثبت ﷻ أن هذا الدين -أي: الدين الإسلامي وخصاله كلها- موافق للفطرة السليمة بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

واختلفت أهل العلم حول مدى اكتساب الأخلاق فمنهم من قال إنها جبلية ومنهم من قال إنها مكتسبة، وبيان ذلك من القران والسنة ما يأتي:

إن الأخلاق والقيم في مفهوم القرآن والسنة هي نتاج الفطرة والاكتساب، فهي فطرية حيث إن الإنسان يولد وهي معه مجبول ومفطور عليها، كما أنها مكتسبة يستطيع الإنسان من خلال المجاهدة والتدريب والتعلم أن يتحلى بها.

فدليل الفطرة: قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

قال السعدي: «وهذا الأمر الذي أمرناك به، هو (فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة، قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق، وإيثار الحق، وهذا حقيقة الفطرة. ومن خرج عن هذا

الأصل، فلعارض عرض لفطرته أفسدها»[1].

وأما في السنّة فقد جاء أيضًا تقرير أن الأخلاق نتاج الفطرة والاكتساب، فعن النبي ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[2].

يقول ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (الإنسان يولد مفطورًا علىٰ قبول الحقِّ، فإنْ هداه الله سبَّب له من يعلمه الهدىٰ، فصار مهتديًا بالفعل بعد أنْ كان مهتديًا بالقوَّة، وإنْ خذله الله، قيَّض له من يعلمه ما يُغير فطرته كما قال ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[3].

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال للأشج بن عبد قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ. قال: يَا رَسُولَ اللهِ كَانَا فِيَّ أَمْ حَدَثًا؟ قَالَ: بَلْ قَدِيمٌ. قَالَ: قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَىٰ خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا»[4].

يقول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ معلقا علىٰ هذا الحديث: (فترديده السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب)[5]. فهذان الحديثان يدلان علىٰ أن الإنسان مفطور علىٰ الخُلق الحسن.

---

(١) تفسير السعدي ٣/ ٦٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلىٰ عليه، وهل يعرض علىٰ الصبي الإسلام (٢/ ٩٣)

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/ ٦٣٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه (١/ ٤٦).

(٥) فتح الباري للحافظ ابن حجر ١٠/ ٤٥٩.

والدليل علىٰ أن الأخلاق مكتسبة هي: قوله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [سورة الشمس: ٧-١٠].

أي خلقها سويّة مستقيمة علىٰ الفطرة القويمة، ثم بيّن لها الخير والشر، فمن زكّىٰ نفسه بالطاعة، وطهّرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل؛ فقد أفلح، ومن أمللها، ووضع فيها بخذلانه إيّاها في الهوىٰ وركوب المعاصي؛ فقد خاب وخسر[1].

وفي المقابل فإن هناك أحاديث تدل علىٰ أن الأخلاق تُكتسب بمجاهدة النفس والتدريب عليها، منها: حديث: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يَصْبِرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[2].

وحديث: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ»[3].

جاء في فيض القدير في شرح الحديث: «الفضائل ضربان: نظري وعملي، وكل ضرب منها يحصل علىٰ وجهين؛ أحدهما: بتعلم بشرىٰ يحتاج إلىٰ زمان وتدرب وممارسة ويتقوىٰ الإنسان فيه درجة فدرجة... والثاني: يحصل بفيض إلهي نحو أن يولد إنسان عالما بغير تعلم كعيسىٰ ويحيىٰ عليهما الصلاة والسلام وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام الذين حصل لهم من المعارف بغير ممارسة ما لم

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ١٥٨٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر (٢/ ٧٢٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط رقم ٢٦٦٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٣٢٨.

يحصل لغيرهم... فقد يكون بالطبع كصبي يوجد صادق اللهجة وسخيًّا وجريئًا وآخر بعكسه وقد يكون بالتعلم والعادة»[1].

(١) فيض القدير، للمناوي ٢/٥٦٩-٥٧٠.

خامساً: الثبات والدوام.

الثبات والاستمرارية من خصائص القيم الإسلامية، ومعيارها الحقيقي هو القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل، فالحسن من الأخلاق ما يحمد شرعًا وعقلًا، والقبح ما يذم شرعًا وعقلًا.

وهذه الميزة والخصيصة تعطي للأخلاق الإسلامية صفة الثبات والاستمرارية، فهي ثابتة لا تتغير لتلبي الأهواء والشهوات، ولا تختلف باختلاف الأماكن والأحوال، وهذا الأمر يعدّ من أهم خصائص الأخلاق الإسلامية وأعظم مميزاتها التي تنفرد بها عن القيم والأخلاق الوضعية التي يتعارف عليها الناس بعيدًا عن وحي الله المبارك، فمثلًا التاجر الذي يستعمل الصدق والوفاء والإتقان لا من أجل الصدق والوفاء والإتقان ديانة وتعبدًا ومراقبة لله تعالىٰ، بل من أجل الربح وترويج البضاعة لا يلبث حين يجد الربح بوسيلة أخرىٰ غير هذه الأخلاق، فإنه ولاشك سيهجرها؛ «لأنه في الحقيقة لم يتصف في نفسه بهذه الأخلاق، وإنما استعملها حين وجد الفائدة في استعمالها، وبهذا تتعثر عملية التنمية، ولا تسير في طريق مستقيم»[1].

ولذا؛ فإن القرآن الكريم والسنة النبوية يعرضان الأخلاق مرتبطة بالإيمان والعقيدة حتىٰ تكون راسخة وثابتة لا تتغير بتغير المصالح والحاجات، ولا بتغير الزمان والمكان. ومن ذلك قوله تعالىٰ في الحث علىٰ التقوىٰ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩]

---

(١) التربية المهنية والحرفية في الإسلام، لجمال الهنيدي ص٣٥١.

قال تعالىٰ -واصفًا عباده المؤمنين-: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٣].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٢]، وهذا قمة الخلق وحسن العقيدة ولذلك قال في آيات أخرىٰ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٥]، أما غيرهم فكما أخبر الله عنهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الصافات: ٣٥]، وفرق شاسع بين الخلقين.

وفي السنة قوله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[١]. قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي أن يكون هذا الحديث دائمًا نصب عين المؤمن؛ لأن الإنسان إذا علم بأنه لن يكون كامل الإيمان إلا إذا أحسن خلقه كان ذلك دافعًا له علىٰ التخلق بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات وترك سفا سفها ورديئها»[٢].

فالحديث بيّن أن الأخلاق من علامات كمال الإيمان؛ فالمسلم كلما حسّن خلقه وجمّل آدابه كان أكمل إيمانًا، وأقرب منزلة عند ربه. وفي المقابل فإن فيه تلميحًا أن الإيمان له تأثير بالغ علىٰ البواعث التي تؤثر في سلوك الإنسان وأخلاقه وتصرفاته؛ ولهذا فالمؤمن ترتقي أخلاقه وتكمل بقدر تمكّن العقيدة من قلبه، ويهبط سلوكه بقدر ضعف إيمانه[٣].

كما أن القرآن الكريم والسنة النبوية يوجهان المسلم أن يخلصوا نياتهم في

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب: الدليل علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه (٤/ ٢١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم الحديث ١٢٣٠.

(٢) مكارم الأخلاق لابن عثيمين (ص: ١٠).

سلوكياتهم ويستمروا عليها حتىٰ تكون قربة وعبادة لله ﷻ لا تدخلها المصالح الدنيوية؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥].

في الحديث الصحيح: أنّ رَجُلًا جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: **الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَيُقَاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانُهُ، مَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»**[1].

ومن أدلة الاستمرار أيضًا: ما رواه سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه أنه قَالَ: **«قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ قَالَ: قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ»**[2].

قال النووي رحمه الله -في تعليقه علىٰ هذا الحديث-: «قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللهُ هَذَا مِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ ﷺ وَهُوَ مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾؛ أَيْ: وَحَّدُوا اللهَ وَآمَنُوا بِهِ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، فَلَمْ يَحِيدُوا عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْتَزَمُوا طَاعَتَهُ ﷻ إِلَىٰ أَنْ تُوُفُّوا عَلَىٰ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ مَا ذَكَرْنَاهُ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَهُوَ مَعْنَىٰ الْحَدِيثِ-إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ- هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾: مَا نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جميع القرآن آية كانت أَشَدُّ وَلَا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (٤/ ٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في حفظ اللسان (٤/ ٦٠٥).

أَشَقُّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ»[1].

وقال الأمير الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم استقم» التزم الطاعات واجتنب المخالفات وامش الصراط المستقيم والنهج القويم ولا تنكب منهيات الطريق والمعوج غير المستقيم... قيل: الاستقامة: امتثال كل مأمور وتجنب كل منهي، وقيل: هي المتابعة للسنن النبوية، مع التخلق بالأخلاق المرضية، وقيل: الاتباع مع ترك الابتداع، وقيل: حمل النفس علىٰ أخلاق الكتاب والسنة»[2].

ومن أدلة الاستمرار أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة هود: ١١٢].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ -في تفسيره لهذه الآية-: « قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾؛ أَيِ: اسْتَقِمْ عَلَىٰ دِينِ رَبِّكَ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ كَمَا أُمِرْتَ، ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾؛ أَيْ: وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ فَلْيَسْتَقِيمُوا، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الِاسْتِقَامَةُ أَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَىٰ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَا تَرُوغَ رَوَغَانَ الثَّعْلَبِ... ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ لَا تُجَاوِزُوا أَمْرِي وَلَا تَعْصُونِي، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَلَا تَغْلُوا فتَزِيدُوا عَلَىٰ مَا أَمَرْتُ وَنَهَيْتُ»[3].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ -مبينًا بعض فوائد هذه الآية-: «ففيه ترغيب لسلوك الاستقامة، وترهيب من ضدها، ولهذا حذرهم عن الميل إلىٰ من تعدىٰ الاستقامة»[4].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ٢/ ٩.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير للأمير الصنعاني ٨/ ٨٤.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٢٠٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٣٩٠.

ولا شك أن استحضار النية عند العمل الخلقي يكوّن لدىٰ المسلم التقييم الذاتي المتمثل في مراقبة الله ﷻ في جميع الشؤون والأعمال، بما يكسبه الاستمرارية في التخلق بالأخلاق الحسنة والثبات عليها؛ لأن مقصوده الأول من تطبيقه الأخلاق هو ابتغاء وجه الله ﷻ ورغبة في رضاه، وليس لأجل منفعة وقتية تنتهي بانتهاء المصالح الدنيوية. فالقيم الإسلامية جزء من خصال الإسلام التي يطالَب المسلم بالثبات فيها والدوام عليها، وألا يذهب يمنة ولا يسرة، ولا يطغىٰ فيها بغلو ولا تقصير، وإنما يسير عليها وفق ما أمر الله تعالىٰ إلىٰ أن يأتيه اليقين تحقيقا لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [سورة الحجر: ٩٩].

سادسًا: الجزاء

إن القيم الإسلامية لها خصيصة عظيمة وهي أنها لا تجعل العبد يعمل لأجل دنياه فقط، وإنما تراعي حق الدنيا والآخرة، وتجعل من المسلم إنسانًا فاعلًا قادرًا علىٰ جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وهذا المفهوم لا يوجد في أي نظام غير النظام الإسلامي؛ لذلك يعلو النظام الإسلامي علىٰ غيره من النظم والقوانين والقيم الوضعية؛ لأنه ينظم حياة المسلم في الدنيا والآخرة؛ وهذا مصداق قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [سورة البينة: ٧-٨]. إلىٰ غير ذلك من الخصائص العظيمة في النظم الإسلامية التي تتميز بها عن غيرها من النظم الوضعية التي تحقق سعادة الفرد ثم سعادة المجتمع؛ القائم علىٰ هذه النظم الإسلامية الرائعة[1].

---

(١) ينظر: النظم الإسلامية وحاجة البشرية إليها، عبد الرحمن الضحيان، (ص٤٣-٤٥)، والإسلام، حقيقته - شرائعه - عقائده - نظمه، محمد إبراهيم الحمد، (ص٣٧٤-٣٧٨).

أهمّية القيم الإسلامية

للقيم الإسلامية منزلة ومكانة كبيرة في نفوس المسلمين، حيث أنها إحدىٰ الأسس الهامة لتقويم وتعديل سلوك الفرد وأخلاقه، وهي الموجه والضابط للسلوك الإنساني، ولا تقف أهمية القيم الأخلاقية في نطاق الفرد بل تتعداه إلىٰ المجتمع وتمس العلاقات الإنسانية، بدءًا بعلاقة الإنسان بربه، وانتهاء بعلاقة الإنسان بغيره من الكائنات. فهي تحقق للفرد والمجتمع ما يسعد به في دنياه وآخرته.

ولأهمية القيم ومكانتها سيتمحور الحديث عنها في محورين هامين هما: أهميتها للفرد، وما ينضوي تحته من الأمور، وأهمية القيم للجماعة أو المجتمع.

أ- أهميتها للفرد:

أولًا: سلامة الاعتقاد:

القيم جزء من هذا الإسلام العظيم، وتُستمد من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية ويعتبران الأساسان اللازمان للحديث والبحث عن القيم الإسلامية وأن مَشرعها هو الله -جل وعلا-، وهو العالم بما يصلح البشرية، ويقوم سلوكهم، وحياتهم في الدارين[1].

ويمتاز صاحب العقيدة السليمة عن غيره، بمحافظته علىٰ ما أمر الله تعالىٰ به، واجتنابه جميع ما نهىٰ الله ﷻ، وصاحب العقيدة السليمة إذا خالف أمرًا أو نهيًا سرعان ما يؤنبه ضميره الحيّ فيرجع إلىٰ ربه تائبًا مستغفرًا. وتحلّي صاحب

---

(١) ينظر: القيم الإسلامية والتربية، علي خليل أبو العينين، ص٦٨.

لاعتقاد السليم بالفضائل وتخليه عن الرذائل أمر بديهي؛ لأن كل آية في كتاب الله تعالىٰ تدعو إلىٰ ذلك، وهذه الميزة من أعظم ما يعين علىٰ ترسيخ القيم؛ فهذه القيم ربانية المصدر وليس للرأي والهوىٰ فيها حظ ولا نصيب.

وفيما يأتي بيان لأهمية سلامة الاعتقاد للفرد.

١- إذا طبق المسلم القيم الإسلامية ورأىٰ ما فيها من عدل وإنصاف، وأنها لا تضاد فيها ولا تناقض عَلم عِلْم اليقين أنها ربانية المصدر، وأنها من حكيم عليم، وبالتالي يزداد إيمانه بربه وتمسكه بعقيدته.

٢- تمسك المسلم بالقيم الإسلامية فيها دلالة علىٰ إتباع النبي ﷺ والسلف الصالح التي بها الهداية والنجاة بإذن الله قال ﷺ «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»(١).

ولما كان السلف -رحمهم الله- أعرف الناس بمراد الله ومراد رسوله، كان اتباعهم واقتفاء أثرهم واجبًا. قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والسلف علمهم أتم وأحكم، وأسد وأبين وأسلم، فلهذا كلّه صار أئمة الهدىٰ علىٰ دربهم، ومصابيح الدجىٰ علىٰ طريقهم، وهم القوم لا يشقىٰ جليسهم، ولا يخاف تابعهم، ولا يضل متّبعهم، ولا يهتدي

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٩٣، كتاب العلم، رقم ٣١٩، والبيهقي في الكبرىٰ ١٠/ ١١٤، كتاب الدعاوىٰ والبينات، باب: باب ما يقضي به القاضي ويفتي. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/ ٥٦٦.

مخالفهم»[1].

٣- إن أعلىٰ القيم الإسلامية هي توحيد الله وإفراده بالعبادة وعدم الشرك بالله تعالىٰ قال ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[2]. ولهذا قال تعالىٰ في وصية لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة لقمان: ١٣].

فمن الآية الكريمة يتبين أن الأصل الأول لهذه القيم هي الإيمان بالله وعدم الشرك به تعالىٰ، ولهذا يجب أن تكون عظة لقمان لابنه نبراسا يستضيء به.

٤- أنها توجب مراقبة الله ﷻ: إنّ استصحاب معية الله ﷻ والاستشعار بقربه ومراقبته واطلاعه علىٰ السرّ والنجوىٰ، يبعث في نفوس النشء الاستقامة والاستقرار، قال تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [سورة غافر: ١٩]

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٨-٢٢٠].

والرسول ﷺ غرسه في النشء، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ،

---

(١) المجموع للنووي ١/ ١٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان، (١/ ٦٣)، حديث رقم (٥٧).

احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

وشعور المسلم بمراقبة الله ﷻ له، تجعله يرتقيٰ إلىٰ مرتبة الإحسان قال رسول الله ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2]. ولذلك كانت أحكام الدين ضابطًا لسلوك الإنسان المؤمن، وهذا ما تفتقده المذاهب والقوانين البشرية التي لا تستطيع أن تضبط إلا الأمور الظاهرة[3].

٥- أنها توجب الوسطية والاعتدال: هذه القيم تتصف بالوسطية والاعتدال في التنعم واستعمال الطيبات، والتوازن بين أمور الدنيا والآخرة، فلا يطغىٰ جانب علىٰ جانب. ومن ذلك مبدأ التوازن في الواجبات؛ قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «يَا عَبْدَ اللهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟ فقلت: بلىٰ يا رسول الله قال: «فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب: (٤/ ٦٦٧): ٢٥١٦، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(١) جزء من حديث جبريل عليه السلام الطويل، سبق تخريجه (ص٤٧).

(٢) ينظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان ضميرية، (ص٢٦٣-٢٦٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب: حق الجسم في الصوم، (٢/ ٦٤٧)، ومسلم

ومبدأ ساعة وساعة، ومثاله حين قال حنظلة: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّىٰ كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1][2].

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: »... فالأمر المشروع المسنون جميعه مبناه علىٰ العدل والاقتصاد والتوسط الذي هو خير الأمور وأعلاها، كالفردوس فإنه أعلىٰ الجنة وأوسط الجنة، فمن كان كذلك فمصيره إليه إن شاء الله تعالىٰ«[3].

ثانياً: تشكيل الشخصية وتحديد أهدافها الصحيحة:

اهتم الدين الإسلامي بالإعداد الشامل للإنسان، فشرع له جملة من القيم الكريمة يسير علىٰ هداها ويتبع أثرها في جميع معاملاته العلمية والعملية لتحقيق أهدافه الخاصة والعامة.

في صحيحه، كتاب الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، (٢/ ٨١٣).

(١) جزء من حديث، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، (٤/ ٢١٠٦)، حديث رقم (٢٧٥٠).

(٢) ينظر: القيم الحضارية في الإسلام، محمد عبد الفتاح الخطيب، (ص١١٠-١١٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية ٢٥/ ٢٨٣.

ومعلومٌ أنّ المرء يتقبّل القيم والمبادئ ويسهل غرسها فيه منذ الصّغر، فإذا تمكّنت فيه أثّرت عليه، وشكّلت شخصيته وحدّدت أهدافه، وساعده ذلك في تحقيق الأهداف المرسومة علىٰ الوجه المطلوب، ووجود هذه القيم والمثل العليا ضروري لتوجيه حياة ذلك الشّخص، ويكتسب المرء القيم الأساسية والدعامات الأولىٰ لبناء ذاته وتشكيلها في محيط الأسرة منذ نعومة أظفاره؛ إذ الأسرة هي التي تعمل ابتداء بأساليبها التربوية المختلفة علىٰ اكساب المرء السلوك الذي يتوافق مع القيم التي تدين بها[1].

ولا شك أن القيم الإسلامية المغروسة منذ الصغر لها تأثيرٌ قوّيٌ، سيّما إذا توبعت في مراحل الحياة المتنوّعة، فإنها تحمي من الانحراف والتّطرف في الفكر والمعتقد، وتحقق الأهداف المرسومة لكل من الفرد والمجتمع، وهو مما يبين أهميتها ودورها حيث تعمل علىٰ تجذير الشخصية المسلمة وتراعي حياته المتطورة[2].

وتشكيل الشخصية وتحديد أهدافها في النقاط الآتية:

١ - الاعتصام بالكتاب والسنة: وهذا الهدف هو أهم هدف لابد أن يحدد للمسلم ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾

---

(١) ينظر: قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، نجيب إسكندر، (ص: ٣٠) مكتبة النهضة، القاهرة.

(٢) ينظر: مكارم أخلاق الرسول الكريم (١/ ٧٩) والقيم السلوكية،

[سورة الحجرات: ١٥].

فيجب علىٰ المسلم الاخذ بكل ما في القرآن والسنة من غير تراخي أو تهاون، ويجب أن يجعلهما نبراس حياة لا يحيد عنهما ولا يميل، ومن ابتعد عنهما فقد ضل السبيل وغوىٰ قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بل كان كثيرًا ما يقول: (من فارق الدليل ضل عن السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول (ص»[1] وقال أيضًا: (ليس الاعتقاد لي، ولا لمن هو أكبر مني، بل الاعتقاد يؤخذ عن الله ﷻ ورسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة، يؤخذ من كتاب الله، ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة، وما ثبت عن سلف الأمة)[2].

أن هذه القيم تصدر من مصادر الإسلام ذاته المتمثل في الوحيين، وعليه فتحفظ للإنسان جهده وحياته، ويرتقي به إلىٰ المستوىٰ اللائق به. فالشريعة الإسلامية كاملة شاملة لكل مناحي الحياة. قال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣]

فالكتاب والسنة بُيِّن فيهما كل ما يحتاج إليه الناس مما يتعلق بالاعتقاد، وما يتعلق بالعبادة، وما يتعلق بالمعاملة، والأخلاق والسلوك، بل كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنّه قال: «إِنَّهُ لَمْ

---

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم، (ص٩٠).

(٢) مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية، (٣/ ٢٠٣).

يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»[1].

٣- المحافظة علىٰ مبادئ الإسلام وقيمه والاطمئنان بها، مع الصدق في ذلك قولًا وعملًا، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (سكون القلب إلىٰ شيء ووثوقه به، وهذا لا يكون إلا مع اليقين، بل هو اليقين بعينه، ولهذا تجد أصحاب الأدلة السمعية -يعني أهل السنة- مطمئنة قلوبهم بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته واليوم الآخر، لا يضطربون في ذلك ولا يتنازعون فيه ولا يعرض لهم الشك عند الموت)[2].

٤-تنمية جانب العزة والكرامة عند المسلم؛ لأنه يشعر باعتزاز الشخصية الإسلامية، فلا يقبل الذّل بعد عزة الإسلام، ويبذل الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الله وتحقيق العبودية له.

٥- تعمل هذه القيم علىٰ ضبط سلوك الفرد وتشكيله تشكيلًا صحيحًا، وتوجيهه توجيهًا سليمًا، فالأمانة والصدق والصبر والعدل مثلًا لها قيمتها إذا تبناها الفرد، فتوجه سلوكه وتدعوه إلىٰ عدم الغش، والكذب والتحمل والعدل، فيحقق بذلك الهدف المنشود، وقد قال ﷺ عن الصدق: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الفُجُورِ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء (٣/ ١٤٧٢)، حديث رقم: (١٨٤٤).

(٢) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم، (٢/ ٧٤١-٧٤٢).

وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[1]

فالحديث يثبت ويشير بوضوح إلىٰ قيادة قيمة الصدق إلىٰ البرّ، وهو اسم جامع لكلّ خيرٍ، وأن الكذب كقيمة سلبية مؤثرة تقود إلىٰ الفجور الذي يعرف بأنّه اسم جامع للشرّ.

وعليه: فالقيم الإسلامية تساعد في تشكيل الشخصية وتحدد أهدافه، وتساعد في تحقيق تلك الأهداف، وتسهم في بناء حياة الفرد بناء سليمًا.

ثالثاً: حاكمة وضابطة لحركة المسلم

إذا كان الإسلام قد أعطىٰ الإنسان حقوقه كاملة وشاملة لجميع جوانب حياته، فإنه قد ضبط هذه الحقوق وأحكم العناية بها، واهتم بجانبه الروحي المعنوي بطريقة متوازنة فلم يطغ الجانب المادي علىٰ الجانب الروحي، واتسم بالوسطية في الجانب الآخر فلم يطغ الروحي علىٰ المادي. ويتبين هذا في النقاط الآتية:

١- **ربط المسلم بمراقبة الله وحده:** فالقيم الإسلام تضبط حركات المسلم وسكناته، فلا يعمل شيئًا إلا وهو يراقب الله ﷻ، فتجده لا يلتف إلىٰ الهواجس والخواطر ولا يعمل إي عمل إلا أذا قام عليه الدليل قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن حال السلف في ذلك: (وأهل الاستقامة منهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: قول الله تعالىٰ: (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) التوبة: ١١٩ وما ينهىٰ عن الكذب (٨/ ٢٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٤/ ٢٠١٢)

سلكوا علىٰ الجادة، ولم يلتفتوا إلىٰ شيء من الخواطر والهواجس والإلهامات، حتىٰ يقوم عليها شاهدان، الكتاب والسنة)[1].

كما أن القرآن الكريم والسنة النبوية يوجهان المسلم لضبط حركاته كلها حتىٰ تكون خالصة لله وحده وأن يستمر عليها حتىٰ تكون قربة وعبادة لله ﷻ ولا تدخلها المصالح الدنيوية؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة: ٥].

٢- **ربط المسلم بالإيمان:** إنّ المؤمن ينطلق في التحلّي بالأخلاق الفاضلة، والتخلي عن الأخلاق الذميمة من منطلق إيماني بحت، خوفًا من عذاب الله ورجاء لمثوبته، فكلّما قوي إيمان العبد حسن خلقه وعلىٰ الضد كلما ضعف إيمانه ساء خلقه[2]. وعليه فإنّ ترسيخ الإيمان متضمن للدعوة إلىٰ القيم الإسلامية الكريمة، وكثيرًا ما كان السلف -رحمهم الله- يجمعون بين الإيمان والدعوة إلىٰ الأخلاق في مواعظهم وخطبهم.

٣- **ربط المسلم بالعبادات:** فاكتساب الأخلاق الفاضلة كثيرة ومتنوِّعة، منها: أداء العبادات المفروضة، ومجاهدة النفس وترويضها وحملها علىٰ الخلق القويم، والقدوة الحسنة، والجليس الصالح، وغيرها من

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ١٢٤).

(٢) نضرة النعيم ١/ ٨٢.

الوسائل[1].

٤- **ربط المسلم بالعدل في الدعوة إلىٰ الأخلاق:** المطلوب في الدعوة إلىٰ الأخلاق: هو الاعتدال في تحقيقها دون إفراط ولا تفريط؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٧].

يقول القاسمي معلقا علىٰ الآية: «والذي يدل علىٰ أن المطلوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعًا، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد أثنىٰ الله تعالىٰ عليه؛ فقال: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[2]. والعدل في الأخلاق: أن يكون بين طرفين مذمومين وسطا من دون إفراط ولا تفريط. وفي هذا يقول ابن القيم: «للأخلاق حدٌّ متىٰ جاوزته صارت عدوانًا، ومتىٰ قصرت عنه كان نقصًا ومهانةً، ... وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة»[3].

٥- **ربط المسلم باتباع النبي ﷺ:** فالقيم الإسلامية تقيد المسلم باتباع النبي وتجعله يتلقىٰ خبره بكمال الانقياد والتسليم دون معارضة خيال أو شبهة أو شك قال ابن القيم رحمه الله: (كمال التسليم له، والانقياد

---

(١) ينظر: نضرة النعيم ١/ ١٤٠، وتربية الإنسان الجديد، لمحمد فاضل الجمالي، ص ١٣٥.

(٢) موعظة المؤمنين، للقاسمي (ص ٢٧٠).

(٣) مدارج السالكين: ص ١٤٠-١٤١.

لأمر، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يُحمِّله السالك معارضة خيال باطل يسميه معقولا، أو يُحمِّله شبهة أو شكا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل ﷻ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل)[1].

٦- **ربط المسلم بتقييم أعماله ووزنها علىٰ ميزان الشرع**: فالقيم الإسلامية ميزان يزن به الفرد أعماله ويعرضها عليه، فيحدد ما هو مرغوب فيه وما هو غير مرغوب، فتوجه الفرد لفعل الخير وترك الشرك؛ إذ هي الحاكمة والضابطة لحركاته وسكناته حتىٰ تتفق مع روح الشريعة الإسلامية، فهي تعمل علىٰ إصلاح الفرد نفسيًّا وعمليًّا وخلقيًّا، وتوجهه نحو الخير والإحسان، وتعمل علىٰ ضبط الفرد لشهواته ومطامعه، كي لا تتغلب علىٰ عقله ووجدانه؛ لأنها تربط سلوكه بمعايير وأحكام يتصرف علىٰ ضوئها وعلىٰ هديها، وهذه الوظائف تتداخل وتتكامل، فتجعل الفرد يحسّ ويستشعر عظمة وقيمة حياته لأنه في رضا الله ﷻ[2].

رابعًا: البعد عن الشهوات والشبهات.

إن أعظم مسببات المعاصي ودوافعها أمران وهما: ١- الشهوة. ٢- الشبهة.

أولًا: الشهوة: الشهوة لا تذمّ لذاتها وإنما تذمّ إذا صرفت في غير حلّها أو

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٦٥).

(٢) ينظر للاستزادة: القيم الإسلامية والتربوية، علي أبو العينين (ص: ٣٥).

صدّت صاحبها عن طاعة ربه قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [سورة آل عمران: ١٤].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير عند هذه الآية: (يخبر تعالىٰ عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: **«ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء»**)[1]. فهذه الأنواع التي أخبر الله ﷻ أنها حببت إلىٰ الإنسان تؤدي به إلىٰ التهلكة إذا استحوذت عليه، وأصبح يلهث خلفها ولتحصيلها من حلال أو من حرام، وقد أخبر النبي ﷺ بهذا في قوله: **«حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»**[2]، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا علىٰ هذا الحديث: (وهو من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحض علىٰ الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها، قال المراد بالمكاره هنا ما أمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلًا وتركًا.. وأطلق عليها المكاره لمشقتها علىٰ العامل وصعوبتها)[3].

ثانيًا: الشبهة: إن من أعظم أسباب المعاصي، بل الدخول في كبائر الذنوب،

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٩، والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: ما يتقىٰ من شؤم المرأة ١٦/ ٤١، رقم ٤٧٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: حجبت النار بالشهوات ٢٠/ ١٣٣ رقم ٦٠٠٦

(٣) فتح الباري ١١/ ٣٢٠.

والانحراف عن المنهج القويم، هو الولوج في باب الشبهات التي يشربها قلب المخالف. والشبهة داء عظيم يصيب القلوب فيطفئ فيها نور اليقين؛ إذ (القلوب ضعيفة، والشُبَه خطافة)[1].

والانحراف عن السنّة يكون في الغاب من باب الشبهات التي يشربها قلب العبد، والشبهة داء عظيم يصيب القلوب فيطفئ فيها نور اليقين؛ إذ (القلوب ضعيفة، والشُبَه خطافة)[2].

وقد أخبر الله تعالىٰ عن اتِّصاف أهل البدع -والبدعة قرينة المعصية- بذلك فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[3].

والشيطان حريص أشد الحرص علىٰ إغواء ابن آدم، بل قطع علىٰ نفسه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦١.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: تفسير القرآن، باب: منه آيات محكمات ٤/ ١٦٥٥، رقم: ٤١٨٣، واللفظ له، ومسلم في صحيحه كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن ٤/ ٢٠٥٣، رقم: ٤٨١٧.

العهد والوعد لإغواء ابن آدم، فقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦-١٧]. والإنسان يجب عليه مجاهدة هذا الشيطان الرجيم وعدم الاستسلام له.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (... جهاد الشيطان مرتبتان إحداهما: جهاده علىٰ دفع ما يلقي إلىٰ العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان، والثانية جهاده علىٰ دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر، قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٤] فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك والشبهات)[1].

والقيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة المنبثقة من الكتاب والسنة هي الحصن الحصين للمرء أمام هذان المرضان اللذان يعدان من أخطر الأمراض المهلكة.

ومن أبرز آثار التمسك بالقيم الإسلامية في البعد عن الشهوات والشبهات ما يأتي:

١- التمسك بالقيم الإسلامية عصمة من الوقوع الشبهات والشهوات: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٤

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦] ففي إقامة القيم الإسلامية والأخذ بها طاعة لله ورسوله ﷺ بذلك سبيل النجاة من الشهوات والشبهات.

٣- التمسك بالقيم الإسلامية تحصيل الهداية والسلام وبعد عن الشهوات والشبهات: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»**(١). قال ابن وهب: كنا عند مالك فذكرت السنة فقال مالك رحمه الله: (السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)(٢).

٥- التمسك بالقيم الإسلامية فكاك من سبل الشيطان وأسره بين الشهوة والشبهة: عن عبد الله بن مسعود قال: خطّ رسول الله ﷺ خطًا، ثم قال: (هذا سبيل الله)، ثم خطّ خطوطًا عن يمينه وشماله، ثم قال: **«هذه سبلٌ علىٰ كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»**، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(٣).

والقيم الإسلامية إذا ثبتت وتمكنت كانت سببًا في إبعاد المرء من الشبهات

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٧٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤/ ٩، وتاريخ بغداد٧/ ٣٣٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: ٤١٤٢، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٤٩) وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

والشهوات، فمن شروط لا إله إلا الله الذي هو أعلىٰ شعب الإيمان، اليقين المنافي للشك، والشبهة نابعة عن الشك المنافي لليقين. يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في علاج الشبهات والشهوات: فتنة الشبهات تُدفع باليقين، وفتنة الشهوات تُدفعُ بالصبر، ولذلك جعل الله ﷻ إمامة الدّين مَنوطةً بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٤].

والشهوات مدعاة إلىٰ الشبهات؛ إذ هو السبب الرئيس في غواية الناس وبعدهم عن الله لأن الهوىٰ مخالف للعلم والعلم هو معرفة الحق، والمرء لا يترك الحق -عادة- إلا لاتباع الشهوات أو الشبهات، والله تعالىٰ بين طريق الهداية والغواية، فمن اتبع هواه أرداه إلىٰ الهوىٰ، وأضله عن سبيل الله، ولا يقتصر ضرره علىٰ نفسه، وإنما تتعداه إلىٰ الآخرين، فتثير الشبهات والشكوك في نفوسهم، وتسبب في غوايتهم وضلالهم، وإبعادهم عن طريق الحق والهدىٰ، وقد لفت المولىٰ -جل وعلا- إلىٰ ذلك في قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٩].

ولا شك أن علاج اتباع الشبهات والشهوات، هو الاستجابة للحق ثم السير علىٰ طريق الهدىٰ، والقيم الإسلامية المثلىٰ إذا تمكنت في المرء ووقر الإيمان في قلبه، أزالت عنه لشبهات والشهوات.

خامساً: توفير الشعور بالأمان:

إن تطبيق القيم الإسلامية والأخلاق الحميدة تعمل علىٰ إقامة مجتمع مبني علىٰ أسس رباني، لتحقيق المقصد الأعظم من خلق الخلق وهو عبادة الله وحدة

لا شريك له ونبذ كل ما يعبد من دون الله، والعبادة لا يمكن أن تتحقق إلا في بيئة آمنة، ولهذا نجد أن الإيمان والأمن دائمًا متواصلان ومتقاربان قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢].

وقد كان لأمن الفرد وشعوره بالراحة والطمأنينة محل اهتمام وعناية للقيم والأخلاق الإسلامية، فبأمنه يتحقق مفهوم العبادة، فتأمن له عقيدته وحياته ودار عبادته وتنقله في وطنه، وفي أداء مناسكه وما سوىٰ ذلك من الأمور[1].

ويتبين هذا في النقاط الآتية:

١- **إن تطبيق القيم الإسلامية فيه جلب للمصلحة ودرء للمفسدة وفيه شعور بالأمان:** يقول العز بن عبد السلام في ذلك: (إن الشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح)[2].

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومعلوم أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان)[3]. فمن المصالح المترتبة من تطبيق القيم الإسلامية: إظهار الأمن والأمان والطمأنينة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وإذا لم تطبق هذه القيم فستنتشر الجرائم وتشيع الفاحشة بين أفراد المجتمع،

---

(١) ينظر: التربية الأمنية في الإسلام، الحل الأمثل للفتن، عبد الله بن خلفان آل عايش، (ص: ٣٥).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، ١/ ٩.

(٣) منهاج السنة النبوية-مرجع سابق١/ ١٤٧.

وتحل الرذيلة محل الفضيلة، ويعم الشر بدلًا من الخير.

٢- **معاقبة المخالف للقيم الإسلامية فيه شعور بالأمان:** فالعدل مبدأ من مبادئ الشريعة الإسلامية، جاءت به وسعت لتحقيقه، ومن العدالة أن لا يفلت المجرم من العقاب، ولو أفلت لكان هو والمحسن سواء، وذلك لا يرتضيه العاقل؛ لأنه يؤدي إلىٰ شيوع الفوضىٰ، واختلال القيم، وانتكاس المفاهيم، وضياع الحقوق. فاقتضت إرادة الله ﷻ في تشريع العقوبات للمخالفين إقامة للعدل بين الناس، وحفاظًا علىٰ القيم، وبيان بأنه لا يستوي في ميزان العدالة من أساء إلىٰ نفسه وإلىٰ أفراد مجتمعه وإلىٰ الأمة بمن أحسن عملًا[1].

ويؤكد حقيقة المساواة والعدالة في تطبيق الحدود ما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلم رسول الله ﷺ، فقال: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ**» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»[2].

٣- **إظهار القيم الإسلامية في ذات الداعية تكسبه ثقة المدعوين وفيه شعور**

---

(١) عقوبة الإعدام، لمحمد سعد الغامدي. ص٣٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلىٰ السلطان ٤/ ٢٧٨، رقم ٦٢٩٠

بالأمان: إن الداعية إلىٰ الله تعالىٰ إذا التزم بما يجب عليه من القيم الإسلامية الفاضلة، فإن هذا يجعل الناس يثقون به ويقتدون به. فتأثير أهل العلم والدعاة في الناس كبير، لذلك فإن الدعاة العاملين بشرع الله تقر لهم الأمة بالأمانة في الدين، وهم حراس دين الله بالعلم والهدىٰ والعمل والذب عنه، والذود عن حياضه[1].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًا واستدلالًا، وفقه الله للقول والعمل بما علم فيه، وفاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريبة، ونورت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة)[2].

٤- **تطبيق القيم الإسلامية فيه ترسخ حب التعاون والنظام** واتباع العادات الصحيحة والقواعد التي تجلب الأمن والأمان للمواطن ووطنه؛ لأن تطبيق هذه القيم الوطنية يعتبر من مظاهر الانضباط الذي ينتج عنه الرقي والأمن والأمان.

٥- **تطبيق القيم الإسلامية سبب في الشعور بالأمان لغير المسلمين** فيكون محفز لدخولهم في الدين الإسلامي.

ب- أهميتها للجماعة:

---

(١) من قضايا الصحوة - مرجع سابق- ص٥١-٥٤.

(٢) الرسالة-مرجع سابق- ص١٩.

للقيم أهمية بالغة في حياة الأمم والشعوب، فهي تشكّل عنصرًا حيويًا للجماعة والمجتمع، فالمجتمع الإنساني مجتمع محكوم بمنظومة معايير تحدد طبيعة علاقة أفراده بعضهم ببعض في مجالات الحياة المختلفة، كما تضع القيم مجموعة من المعايير التي يتعامل بها المجتمع مع غيره من المجتمعات الإنسانية[1]، وتشكل هذه المعايير بمجموعها قيمًا محددة تسعىٰ المجتمعات إلىٰ تعزيزها عند أفرادها وصبغ حياتهم بصبغتها، ثم نقلها إلىٰ المجتمعات الأخرىٰ، وتبرز هذه الأهمية في العناصر الآتية:

أولًا: ربط المجتمع بالعقيدة الصحيحة والقيم النبيلة.

إن أهم ما يعتز به الفرد، ويرتفع به المجتمع ويرتقي، وتعلو به الأمم إلىٰ أوج العلا، وتسمو به نحو الكمال، هو الامتثال لأمر الله تعالىٰ بتحقيق التوحيد والبعد عن ضدّه، ويزيد ذلك بهاء عندما تتصف الأمم بالأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، والسجايا الفاضلة، والقيم النبيلة، فيكون لهم القدم المعلا علىٰ سائر الأمم.

والمتأمل في كتاب الله تعالىٰ يدرك بجلاء ووضوح ووجود وحدة موضوعية شاملة تبرز الغاية من خلق الكون، وما يجب أن يسير عليه، ألا وهو تحقيق العبودية لله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [سورة الدخان: ٣٨].

وقال أيضًا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا

---

(١) ينظر: القيم السلوكية للدكتور محمود عطا عقل (ص: ٧١).

﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٤٤].

وقال أيضًا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [سورة الحج: ١٨].

والقيم الإسلامية الفاضلة النبيلة تحدد وبدقة فائقة علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بالمخلوقين، فينتج في ذلك الآثار الايجابية الآتية:

١- القيم الإسلامية تكفل للمجتمع وسطية هذا الدين في عقيدته وأحكامه وأخلاقه وإنصافه حتىٰ مع المخالف والمبغض؛ وهو ما جعل فئامًا من أمة الدعوة تستجيب لهذا الدين طواعية من غير إكراه ولا سيف. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٨].

قال ابن كثير: (أي: لا يحملنكم بُغْض قوم علىٰ ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًّا)[1].

٢- القيم الإسلامية تحقق مقصدًا من مقاصد الدعوة الإسلامية وهو تحقيق الائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف؛ وتوحيد الصف فقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٢.

بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[سورة آل عمران: ١٠٣].

وذلك لما يعود علىٰ الأمة من الفرقة والاختلاف من ضعفٍ وهوانٍ، كما حذر من الفرقة والاختلاف فقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

[سورة الأنفال: ٤٦]

والخلاف واقعٌ في الأمة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارىٰ علىٰ إحدىٰ أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة**».

ومن رحمة النَّبيِّ ﷺ بأمَّته أنْ أرشدهم إلىٰ المخرج وسبيل النَّجاة عند الافتراق؛ إذ روىٰ العِرْباض بن سارِيَةَ رضي الله عنه قال: صلَّىٰ بنا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، ثم أقْبَلَ علينا فوَعَظَنا مَوْعِظَةً بليغةً، ذَرَفَتْ منها العيونُ ووَجِلَتْ منها القلوبُ، فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ كأنها موعِظَةُ مُوَدِّعٍ! فماذا تعْهَدُ إلينا؟ فقال: «**أُوصيكُم بتقْوىٰ اللهِ، والسَّمعِ والطاعةِ، وإنْ كان عَبْدًا حَبَشِيًّا، فإنه منْ يَعِشْ منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكُمْ بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء المَهْدِيِّين الراشِدينَ؛ تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ وإياكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ، فإن**

كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة»[1].

٣- القيم الإسلامية تكفل للمجتمع الصبغة الإسلامية، وذلك لاتحاد مبادئها وغاياتها، فتذكرهم بما أوجب عليهم من واجبات، وما فرض عليهم من فرائض الإسلام مع الإخلاص لله تعالىٰ في ذلك، مع الموافقة والاتباع لما جاء به الرسول ﷺ، ونبذ البدع والخرافات، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

٤- القيم الإسلامية تحفظ للمجتمع المسلم تماسكه وتحدد له أهدافه ومثله العليا، ومبادئه الثابتة، لذا حرص الإسلام علىٰ بناء مجتمع إسلامي تسوده القيم الفاضلة المنبثقة من العقيدة الصحيحة، فيحصل لهم التكافل والتعاون والتضامن، قال ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ»**[2]. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: في الحديث بيان حقوق المسلمين بعضهم علىٰ بعض، وحثهم علىٰ التراحم والملاطفة، والتعاضد، وقد كان النبي ﷺ يتألف الناس ويصبر علىٰ جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوىٰ شوكة المسلمين.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: لزوم السنة: ٤٦٠٧، والترمذي في جامعه، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ٢٦٧٦ قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (١/ ١٦)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/ ١٩٩٩).

٥- القيم الإسلامية تجعل الدعاة حرصين علىٰ تبليغ هذا الدين للناس، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧].

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ، أنّ رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ: «انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(١).

ثانياً: التعامل مع الغير بما يتوافق مع القيم الشرعية

إنّ القيم الإسلامية بسماحتها قد كفلت لجميع الناس حقوقهم، وأمرت بمراعاة تلك الحقوق كلّها بعد أداء حق الله تعالىٰ، وبما أن المجتمع المسلم قد يكون مع غيره في الدولة الإسلامية، أو ربما احتاج إلىٰ خدمة الغير أيا كان دينه، فقد دعا الإسلام إلىٰ التعامل مع هذا الغير بما يتوافق مع القيم الإسلامية.

وقف الإسلام موقفًا متسامحًا لا يتعارض مع مبادئه وأصوله تجاه أهل الأديان الأخرىٰ، ويتضح ذلك جليًا من خلال القواعد التي أساسها في التعامل مع غير المسلمين في دار الإسلام وما يجب علىٰ المسلمين اتباعه من تعاليم وما عليهم من واجبات من خلال القرآن الكريم ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتب الفرائض، باب: فضل من أسلم على يديه رجل (٢)

فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

- ومن أعظم ما يبرز قيم التسامح: موقف الإسلام منذ بداية الدعوة للإسلام، فقد حدد وبدقة عدم إجبار الناس علىٰ الدخول في الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

ولقد سار رسول الله ﷺ علىٰ هذا المنهج حيث تبين القصص الواردة في هذا المجال نهيه ﷺ عن الإكراه، ومن ذلك أن رجلًا كان له والدان نصرانيان وهو مسلم فسأل الرسول ﷺ عما إذا كان يجوز له إكراههما علىٰ اعتناق الإسلام وهما يرفضان كل دين غير النصرانية فنهاه الرسول ﷺ عن ذلك(١).

- كذلك من إظهار قيمة التسامح في الإسلام ما دعا إليه من اتباع أسلوب اللين والرفق والحوار الهادئ والمجادلة بالحسنىٰ من خلال استخدام العقل والمنطق لإقناع أهل الكتاب بالدخول في الإسلام حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

- وكذلك تظهر قيمة التسامح في الإسلام في عهود الأمان لغير المسلمين التي أعطيت لهم، فكانوا يقيمون في بلادهم بناء علىٰ هذه العهود تحت مظلة

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، للطبري، (٢/ ٥٦٢).

الإسلام وكان الأمان يشكل القاعدة الإسلامية الأساسية بعد دخول المسلمين البلاد المفتوحة وبمقتضىٰ هذا الأمان أتيح لغير المسلمين بعض الحقوق والحريات. ولقد وضع الإسلام الضوابط فيمن ينكث هذا العهد حيث قال ﷻ: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢]، وقد عاش النّبي ﷺ في المدينة مع طوائف اليهود، وطوائف أخرىٰ من النصارىٰ في أنحاء من جزيرة العرب، وقد كتب النبي ﷺ عند سفره إلىٰ المدينة كتابا مع اليهود ضبط فيه الحقوق وبين الواجبات التي لهم وما عليهم.

وعندما نقض اليهود في المدينة العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ كان هذا السبب الرئيس في حربهم، وذلك بسبب تجاوزهم في معاملة مسلمي المدينة ونكثهم للعهد وخيانتهم. مما دفع رسول الله ﷺ إلىٰ محاربتهم؛ لأن خطرهم قد هدد الدعوة الإسلامية التي كانت لا تزال في مهدها، ومع ذلك كله من الغدر والخيانة ونكث العهود من اليهود تظهر قيمة التسامح في خلقه ﷺ فهو لم ينكّل بهم مع بداية خيانتهم ونكثهم بالعهد، بل اكتفىٰ فقط بإجلائهم وخروجهم بما يحملون كبني النضير وبني قينقاع، ومع ما قام به اليهود من نقض للعهود فأنهم كانوا معترفين لوفاء الرسول ﷺ بالعهد[1].

- وكذلك تظهر قيمة التسامح في غزواته وقادة جيوشه، فلما أمر معاذ بن جبل إلىٰ اليمن أمره بمعاملتهم بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية، فقال له: **«إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمِ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ،**

---

(١) ينظر: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، نريمان عبد الكريم أحمد، (ص١٦-٢٨).

فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[1].

وكان يدعوهم إلىٰ الإسلام قبل مهاجمتهم، وهو ما أوصىٰ به عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عند ما أرسله إلىٰ يهود خيبر، قال: «انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[2].

فقد أمر النبي ﷺ بمعاملتهم بأرقىٰ الأخلاق، وهو البداءة بالدعوة إلىٰ الإسلام، وعدم المباغتة وإقامة الحجة عليهم، وهو خلق نبوي فاضل.

وبعد فتح خيبر وخضوعهم لحكم الرسول ﷺ تعاقد معهم علىٰ أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر مما يخرج منها[3]، وذلك ليستفيد من خبرتهم في مجال الزراعة.

- وكذلك تظهر قيمة تسامحه ﷺ مع المسالمين والضعفاء من غير المسلمين، فقد روىٰ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٢/ ١١٩). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلىٰ الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب: فضل من أسلم علىٰ يديه رجل (٤/ ٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب: إذا استأجر أرضا، فمات أحدهما (٣/ ٩٤).

«الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

ومن هنا يظهر سماحة الإسلام وقيمه المثلىٰ، فالواجب علىٰ المسلم العدل وعدم الظلم، فلا يظلم غير المسلم في دم أو مال أو عرض إذا كان ذميًّا أو مستأمنًا أو معاهدًا، وقد ورد الوعيد الشديد لمن يقتل معاهدا بدون حق، فقد قال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[2].

وسلوك المسلم وأخلاقه مع الغير يتحكم فيه مجموعة من المعايير الخلقية التي أساسها العدل، الذي يدعو إلىٰ حفظ حقوق الغير ومراعاة تأديتها علىٰ الوجه الشرعي، وعليه فليس من هدي الإسلام ولا أخلاقه وقيمه الفاضلة التّعدي علىٰ المعاهدين أو المستأمنين، أو أهل الكتاب ما لم يكونوا محاربين، فأنفس هؤلاء مصونة معصومة ما لم تتجاوز الحدود الشّرعية.

ويتضح من القيم الإسلامية السامية في التعامل مع غير المسلمين أن وصم الإسلام بالإرهاب والتطرف جهل بتعاليمه السمحة، أو تجنّ عليه بقصد الإساءة وإلا فقد تجلت لنا الحقيقة الناصعة التي شهدت بها النصوص، وشهد بها الواقع التاريخي لأمة الإسلام منذ العهد النبوي ثم الراشدي فما بعده من العهود إلىٰ يومنا، وهي تسامح المسلمين الفريد وتعاملهم مع الغير من أهل الديات الأخرىٰ ولا سيما أهل الذمة منهم، بما أمر به الدين الحنيف لا بما يمليه ضمائرهم فقط.

فالإسلام يقف مع الآخر موقفا معتدلا، في السماحة من غير ذلّ وهوان، فلا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلىٰ عليه، (٢/ ٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب الجزية والموادعة، باب: إثم من قتل معاهدا بغير جرم (٤/ ٩٩).

تنطوي ضمائرهم علىٰ الغل أو الحقد أو الكراهية، ولكنهم يوالون الله، ويبغضون في الله، دون جور أو ظلم.

ثالثاً: وقاية المجتمع من الأنانية والنزعات العنصرية

تهدف تعاليم الدين الإسلامي وقيمه إلىٰ بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده علىٰ الحب والمودة والتآلف والرحمة، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء، وحث الإسلام تربية الأجيال علىٰ هذه المبادئ والقيم الكريمة

١- أن الاعتصام بالقرآن والسنة والصدور عنهما، هو سبيل وحدة الأمة، وإبعادها عن الأنانية والنزعات العنصرية والقبلية، وأن البعد والحيدة عن ذلك يؤدي إلىٰ الاختلاف والشقاق والتراشق بالألقاب. قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

والاعتصام بالقرآن والسنة هو التمسك بسائر تعاليمهما العامة والخاصة، والتي منها الأمر بطاعة الرسول ﷺ، فمتىٰ لم تعتصم الأمة بالسنة ابتعدت بقدرها عن الاعتصام بالقرآن الكريم.

٢- **الاقتداء بالرّسول ﷺ فهو القدوة الحسنة لكل مسلم**، ومثله الأعلىٰ في التّحلي بأخلاق وآداب الإسلام، وقد كان النبي المصطفىٰ ﷺ رحيمًا، ولم يكن أنانيًّا، قال الله تعالىٰ مادحا لصفة حلمه وأناته: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ

فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩]، فبرِفْقِه استطاع أن يوحد صفّ الصحابة الذين كان بينهم حروب وشجار سنين عدّة، ونبذ العصبية القبلية التي كانت متجذرة في الصّدور في الجاهلية. ومما يبيّن موقف القيم الإسلامية من النزعات والعنصرية والقبلية ما أخرجه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ حَتَّىٰ كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّىٰ تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَىٰ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ» فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ» وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَىٰ المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا الخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[1].

وقد كره النبي ﷺ العصبية الذميمة المتعارف عليها عند العرب في الجاهلية من نصرة الأخ أو القريب والحليف، وإن كان متعديًا ظالمًا. هذه هي تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وما دعا إليه الرب ﷻ في الكتاب علىٰ لسان نبينا محمد ﷺ، وهو القائل: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: ما ينهىٰ من دعوة الجاهلية (٤/ ١٨٣).

عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَىٰ عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَىٰ عَصَبِيَّةٍ»، وقال -عليه الصلاة والسلام- عن العصبية: **«دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»**.

وهو ﷺ الساعي إلىٰ محو العصبية الجاهلية، ومقوض أركانها، وهادم بنيانها، وهو عليه السلام الغارس في هذا العالم مبادئ الإسلام والإخاء، بعد أن عمه الظلم وتحكّم الأقوياء بالضعفاء، ولذا منّ الله تعالىٰ المؤمنين بالوحدة وأمرهم أن يذكروا ما كانوا عليه الإسلام من العداوة والبغضاء والتخاذل والشحناء، ليشكروا الله تعالىٰ علىٰ ما أولاهم من نعمه، وشملهم به من رحمة.

٣- القيم الإسلامية تمنع من التعصب للأشخاص غير النبي ﷺ، بخلاف أهل البدع المغالين في التعصّب للأشخاص بلا علم ولا عدل، والمُغالين في التعصّب في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد مع البغي والعدوان علىٰ المخالف لهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فمن جعل شخصًا من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة كما يوجد ذلك في الطوائف من اتباع أئمة الكلام في الدين، وغير ذلك؛ كان من أهل البدع، والضَّلال والتفرّق)[1].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ ٣/ ٣٤٧.

وهذا التعصّب يحمل المبتدعة علىٰ ردّ الحقّ، واستنكاف قبوله، وإنْ لاح لهم، وتبينوا صدقه، واستيقنوا أنهم مبطلون؛ فالتعصّب يعمي صاحبه ويصمّه.

رابعاً: تشكّل مقاصد الإسلام في حفظ الضروريات الخمس.

الإسلام دين سماوي لم يكن لأمة من الأمم مثله ولا نزل علىٰ نبي من الأنبياء نظيره؛ إذ هو دين عام مبين لأحوال المجتمع الإسلامي، بل البشرية عامة وبه كمل نظام العالم فهو جامع شامل للمصالح الاجتماعية والأخلاقية. فإنه بين الأحوال الشخصية التي بين العبد وبين ربه، وهذب الأخلاق فأمر بالصدق في المعاملات والوفاء بالعقود والعهود والمواعيد، وأوجب ترك الذنوب من زنىٰ وشرب خمر وغيبة ونحوها، وأمر بصيانة الأموال والأعراض تكريما للإنسان ورفعا لقدره[1].

ومعلوم أن من مقاصد الإسلام الأساسية الحفاظ علىٰ الضروريات الخمسة المتمثلة في: الدين، والعقل، والنفس، والعرض والمال، بل المتتبع لنصوص الكتاب والسنة يجد فيها الكثير من المقاصد الخلقية، قال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ منوهًا بمكانة مقاصد الإسلام: إن الاستقراء دلّ علىٰ أن الله ﷻ شرع أحكامه لمصالح عباده[2].

وقال العزّ بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو تتبعنا مقاصد ما في الكتاب والسنة لعلمنا أن الله تعالىٰ أمر بكل خيرٍ دقّه وجلّه، وزجر عن كلّ شرٍّ دقّه وجلّه، فإن الخير يعبر

---

(١) كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه (٢/ ٥٦).

(٢) ينظر: منهاج الوصول إلىٰ علم الأصول للبيضاوي، (ص: ٢٣٣).

به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشرّ يعبّر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح[1].

ويقول ابن عاشور في بيان أهمية حفظ الدين من حيث المقصد: حفظ الدين معناه حفظ دين كلّ أحد من المسلمين أن يدخل عليه ما يفسد اعتقاده وعمله اللاحق بالدين، وحفظ الدين بالنسبة لعموم الأمة هو دفع كلّ ما من شأنه أن ينقض أصول الدين القطعية[2].

والعقوبات الشرعية جاءت للمحافظة علىٰ هذه الضرورات، فحد الردة شرع للمحافظة علىٰ الدين، والقصاص شرع للمحافظة علىٰ النفس، وحد الزنا شرع للمحافظة علىٰ النسل، وحد السرقة شرع للمحافظة علىٰ المال، وعقوبة شارب الخمر شرعت للمحافظة علىٰ العقل، وحد الحرابة شرع لحماية الناس والمجتمع من الخارجين عليه ومن قطاع الطرق، ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر[3].

والناظر يدرك أن القيم الإسلامية جاءت لحفظ هذه الضروريات، وجلب المصالح للناس، ودرء المفاسد عنهم.

١- القيم الإسلامية عنيت بالعقل وحذّرت من المفسدات التي تحول بين العقل وبين المعرفة الصحيحة مثل الخرافة، والسحر والشعوذة، والوهم، وادعاء علم الغيب، وذلك حماية للعقل كي لا تسيطر عليه

---

(١) ينظر: قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام (٢/ ١٦٠).

(٢) مقاصد الشريعة لابن عاشور (ص: ٢٣٦).

(٣) المستصفىٰ -مرجع سابق- ج١ ص٢٨٨.

الخرافات والأوهام التي يهذي بها أهل الشعوذة والدجل والسحر والكهانة، وغيرها؛ حيث تعتبر هذه الأعمال إحدىٰ المضادات للمعرفة الصحيحة، ومن أهم الأسباب في تعطيل العقول[1]، ثم دعا إلىٰ استخدام العقول للوصول إلىٰ الإيمان بالله والتمسّك بمنهجه عقيدة وشريعة وأخلاقا؛ لأن التكاليف لا تقام إلا علىٰ من سلم عقله، ولا يقوم بها فاسد العقل قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يس: ٦٠-٦٢].

بل إنّ الإسلام يحذر من الإمعة الذي يتبع كلّ ناعق، ويعطّل عقله عن الحقّ. فعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»[2].

٢- القيم الإسلام عُنيت بالنفس والرعاية الجسدية من خلال الاهتمام باللياقة البدنية والتوعية الغذائية والنظافة الشخصية؛ لما في ذلك من تنشيط للجسم وتجديد لخلاياه ومحافظ علىٰ سلامته وقوته، فالذي يتأمل المقصد الشرعي من أحكام الطهارة يعلم مدىٰ حرص الإسلام

---

(١) ينظر: «الوسطية في التربية الإسلامية دراسة تحليلية ناقدة»، ص ٢١٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الإحسان والعفو: ٢٠٠٧، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

علىٰ سلامة البدن والنفس، فجاء الدين محددًا لخصال الفطرة التي تقوم علىٰ نظافة الجسم والبدن، فقال ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ»[1]. وحرمت قتل النفس والتعدي عليها كما قال رسول الله ﷺ «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[2]. وقال ﷺ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[3]. وغير ذلك من الأدلة.

٣- القيم الإسلامية عنيت بالدين والتمسك به وحذرت من الردة وشرعت عقوبة المرتد كي لا يتخذ الناس الدين مهزلة، يدخل فيه من شاء متىٰ شاء ويخرج منه متىٰ شاء ولما فيه من الاستخفاف بالشارع الحكيم. قال رسول الله ﷺ «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب: خصال الفطرة (١/ ٢٢١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: بيان إثم من سن القتل (٥/ ١٠٦) رقم ٤٤٦٨.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الديات عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن (٤/ ١٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: بيان إثم من سن القتل، (٥/ ١٠٦) رقم ٤٤٦٨.

٤- القيم الإسلامية عنيت بالمحافظة علىٰ العرض وصيانته قال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

ويدخل في ذلك حفظ العرض كذلك؛ لأن حفظ النسل إنما يحصل بالزواج الشرعي، وفي الزواج الشرعي حفظ للعرض، وإذا اعْتُدِي علىٰ النسل لزم منه الاعتداء علىٰ العرض وكذلك النسب[1].

٥- القيم الإسلامية عنيت بالمحافظة علىٰ المال قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢] وقال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

وهناك دليل من السنة يشتمل علىٰ هذه الضرورات الخمس؛ حيث بايع النبي ﷺ أصحابه علىٰ حفظها كما جاء في حديث عبادة بن

---

(١) ينظر: المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام، (ص٢٩)، مقاصد الشريعة الإسلامية، للبوبي (ص١٨١).

الصامت رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: «تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شيئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شيئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شيئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ[1].

وقال عليه السلام: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب: وفود الأنصار إلىٰ النبي ﷺ (٢/ ٥١٣)، حديث رقم: (٣٨٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٩١).